الشيىء المفقود

"مجموعة قصصيه"

تأليف عبد الحق شحادة

الشيىء المفقود

"مجموعة قصصيه"

الطبعة الثانية ..

تأليف عبد الحق شحادة

الإهداء

.. إلي الشهداء .. إلى الأسرى .. إلي الجرحى

.. إلي النقاد .. إلي قُراء القصـة القصيـرة ..

" الكاتب "

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديـــم

التحرر من الإنفعال الناجم عن التأثير بواقع حركة الحقل الاجتماعي ضرورة تفترضها الصحة النفسية لخلق حالة من التوازن النفسي يتمكن من خلالها الإنسان من تأدية دوره الاجتماعي بشكل متكامل ، والكتابة وسيلة من عدة وسائل تهيء الظرف المناسب للإنفلات من قيدي الزمن والمكان والانعتاق من ضغطهما .

والمناضل الكاتب عبد الحق شحاده أهلته ملامسته لواقع الحركة الأسيرة الوطنية واطلالته علي جزء من بواطن حركتها الاجتماعية التعرف علي مشاكل أسري الثورة الفلسطينيه ودقائق جدليتها مع نقيضين لكل منها أبعاده في التأثير النفسي للأسير الفلسطيني ، الأول : حقل السجن وعدائيته . والثاني : حقل الأسرة وتأثير الزيارة .

لقد كان عبد الحق يتأثر إلي حد بعيد بدقائق العلاقة الفردية والجماعية لمجموع الأسري الذين يعايشهم لحظة بلحظة داخل الأسوار لهذا فقد

كانت معاناته نابعة من صميم الواقع المعايش وبالتالي فقد جاءت كتابته تعبيراً صادقاً بث فيه رؤية الواقع الفلسطيني بكل أبعاده بنظرة تكاد تكون تسجيله ظهرت فيها بوضوح نظرة الثوري الملتزم ونمّت بجلاء عن أبعاد تربوية وأخلاقية نابضة بالعطاء ونكران الذات وتمجيد الجماهير .

لقد شبّ الكاتب خلف الأسوار والقضبان وتفجرت موهبته في الكتابة في فترة إستنهاض حركة أدبية أسيرة تمتد جذورها منذ بدايات بلورة الحركة الأسيرة الوطنية حين كان الوعي ما زال قاصراً علي بعض القياديين الأسري وجنينياً لدي الغالبية التي كانت قد إندفعت للنضال ضد الاحتلال الاسرائيلي ، وتطورت هذه الحركة الأدبية بشكل متسارع من الزجل إلي الشعر في النصف الأول من السبعينات إلي ظهور القصة القصيرة والرواية في بداية النصف الثاني من السبعينيات حيث ظهرت رواية " وابور الكاز " في شباط 1976 في سجن الرمله للروائي الأسير محمد عليان .

لقد كتب عبد الحق شحاده أعمالاً عديده واشتهر داخل الأسوار بحنكته في القصة القصيرة حيث عالج من خلالها قضايا الارتباط بالأرض وعلاقة الوطن بالجماهير وركزّ علي التربية الثورية كمفصل أساسي في الاحتراف الثوري واضاف ابعاداً جديدة في القضايا الأمنية

التي كان ملماً في مجالها فجاء نسجه لها محبوكاً بإسلوب أدبي ممتع.

وإذا كان المناضل الكاتب عبد الحق شحاده قد أجاد في مؤلفاته " التجربة النضالية لمعتقل عسقلان " و" قهر المستحيل " و"عبرة أمنية " فإن مجموعته القصصية " الشييء المفقود " تضيف أبعاداً جديده في مشواره الأدبي يكشف من خلالها مدي إنسجام الكاتب الاسير مع الفكر الثوري الذي ينتمي إليه ويصور بموهبته رؤية ثوريه لواقع الجماهير الفلسطينية يعكس فيها تصوراته للحلم القادم الذي نناضل كلنا من أجل تحقيقه .

أبو سليم/ سلمان جاد الله
النصيرات 1996/9/19

الشيىء المفقود

فجأه إحمرت عيناىّ وإكفهر وجهي فأصابني الألم والضيق .. فجدران الغرفه رطبه والغرفه نفسها مُظلمه وسيئة التهويه .. فأشعة الشمس لاتدخلها إلاّ متعرجة الخطوط ، باهتة اللون ، وبعد أن تكون قد فقدت دفئها وحرارتها .. حيث الشبك الملعون الذي يتربع علي شبابيك وباب الغرفه تتكسر عليه خيوط أشعتها .

إستلقيت علي السرير لأستريح قليلاً ، فإذا بي أستغرق في النوم بعد أن دارت الهموم برأسي .

... كل ذلك حصل بدون مقدمات ...

" ما أحلي الحريه بعد إعتقالٍ طويل ؟؟ "

كانت تلك الجمله أول ما نطق بها لساني .

مكان البيت لم يتغير .. معالم الذكري في هذا البيت والتي بقيت عالقه في ذهني لم يصبها التغيير أيضاً .. فالبيت علي حاله .. وشجرة الصبار الصغيره لا زالت تقبع في الأصيص المُعلق في فناء البيت .. والمنضده التي كنت أجلس للمذاكره عليها لازالت تقبع مكانها دون تغيير ويعلوها طبقه من الغبار الكثيف ، حيث المذياع الذي كنت أستعمله يرقد فوقها أيضاً .. كما أن برج الحمام الصغير الذي كان يقبع قبل إعتقالي في إحدي زوايا الفناء لم يتحرك من مكانه ، بل بقيّ خالداً خلود الذكري ، فقط بعض البهتان أصابه من جراء تقادم الزمن ولعدم توفر العنايه الكافيه نحوه ، وهذا الإهمال تجاه البرج ناتج عن كبر سن أمي ، ومن ثم

عدم قدرتها علي الإهتمام بالبرج والحمام معاً .

فكل شييء إذاً لم يصبه التلف وبقي علي حاله بالرغم من السنين الطويله التي مكثها خلف القضبان .

عانقت أهلي .. أمي .. إخوتي .. وأخواتي .. عناق المشتاق لرؤيتهم ، وعناق المتشوق للحريه .. عانقتني أمي بتلهف .. وطال العناق مع الجميع فإشرأبت الأعناق ، وإحمرت الوجوه من شدة الفرحه ، فسالت الدموع .. دموع فرحة اللقاء .

تناولت كأس الشاي الأحمر حيث أحضرته والدتي بعد أن صنعته بيديها .. لم أتذوّق مثل هذا الشاي منذ دخولي السجن ، كان مذاقه عذباً ، كمذاق فاكهةً حلوة الطعم ، لما لا وهو من صنع يدي أمي . ستبقي كأسة الشاي هذه خالدةً في ذهني كخلود ذكري يوم خروجي من السجن .

آه يا أُماه ما الطفك وما أوسع حنان صدرك لأبنائك .. كم كان صبرك طويلاً علي المشاق والألم ...

لقد صبرتِ كثيراً وحزنتِ كثيراً حتي جاء اللقاء بإبنك ، وبعد أن تركت السنين بصماتها علي وجهك ..

أمليت النظر في وجه صديقي ناصر ، فوجدت الزمن قد ترك علاماته عليه ، إذا غزت بعض الشعيرات البيضاء سالفه ...

جارتنا " أم صابر " لا زالت كما عهدتها ـ قبل إعتقالي ـ تتشح السواد الذي لبسته منذ وفاة زوجها " أبو صابر " الذي قتله الصهاينه أثناء حرب حزيران 1967 م .. بينما كانت حامل ببكرها صابر .

طرق الباب مُستمر .. فالجيران والأقارب والخلان يتوافدون علي البيت للتهنئه بسلامة الإفراج .. وكل منهم يحمل بين يديه هديه رمزيه صغيره كجزء من العادات والتقاليد العربيه .

صافحت الجيران والأقارب والأصدقاء .. وبدأت الأسئله وكلمات الترحيب تنهال عليّ كزخاتٍ متلاحقه من الأمطار .

زغردت خالتي " أم حسين "الرؤيتي .. فزغردت جميع النساء المتواجدات في البيت ...

- أهنيتي يا أم صالح بسلامة إبنك وخروجه من السجن ..

هذا ما قالته جارتنا أم سعيد لوالدتي

- عُقبال عند جميع المساجين ، وربنا عمره ما نسي عبده ، والسجن عمره ما إنبني علي أحد ، وكثر الله من خيرك والله يطول في عمرك ويهدي بالك علي أولادك يا أم سعيد وإن شاء الله دياركم تبقي عامره دائماً ، والله لا يوقعكم في مصيبه .

كثرت كلمات التهنئه من هنا وهناك ، وإزداد عدد المهنئين ، فحدث ما يشبه الهرج والمرج ، إختلط فيه صوت النساء بصوت الرجال ، وصوت الأولاد بصوت البنات ، فشعرت أنني أتواجد في فدعوس حقيقي .

ما ألطفكم أيها الجيران ، كم أنا مسرور برؤياكم ولقاءكم ، إنها ساعاتٍ تاريخيه حافله بالمسره والنشوّه .

وفي خضم نشوة الفرح باللقاء تذكرت جدي الذي لم أراه طوال فترة إعتقالي ، فهو قد شاخ وتغير شكله كثيراً..أجلت البصر فيه، وحملقت كثيراً في وجهه ورأسه ، فلم أعثر علي أي شعرة سوداء فيهما ربما يكون الزمن قد نسيّهـا فـي

طية غزوته لرأسه ووجهه ، فإستعدت الله كثيراً وذكرت وحدانيته وقدرته .

تأملت كثيراً في الصور المُعلقه علي جدران حوائط غرف البيت ، فلفتت إنتباهي صورة فتي في حوالي السابعه عشر من عمره ، مُعلّقه في برواز يقبع في واجهة الغرفه

نظرت كثيراً إلي هذه الصوره ، فلم أحدد صاحبها .. طأطأت رأسي وأطرقت به بكلتا يديّ لكي أستطيع أن أتذكر ، فلم أستطع . لقد فُقدت شخصية صاحب هذه الصوره من ذاكرتي .

سألت نفسي :

-من ياتري سيكون صاحب هذه الصوره المُعلقه في مكانٍ خاص من واجهة الغرفه ؟؟

فكرت .. وفكرت .. تذكرت وتذكرت .. فلم أستطع الوصول إلي المعرفه . أعدت تشغيل شريط الذكريات والمعرفه في رأسي ، فلم أعثر علي جواب لسؤالي وحيرتي .

ركضت إلي خارج الغرفه مسرعاً لأسأل أمي عن صاجب هذه الصوره التي أشغلت دماغي ، وإذا بي أسمع صوت أمي يقول :

- " لقد قتلك الصهاينه أيها الشهيد ...

وفجأه وقبل أن تكمل جوابها ، شعرت أن يداً خفيفه تربت علي كتفي لتوقضني بهدوء مع بعض الكلمات القليله التي تذكرني بأن صوت السجان ينادي في المردوان بالإستعداد للوقوف علي العدد " الإسفراه " فإستيقظت لأجد نفسي مبللاً بذراتٍ من العرق البارد .

معتقل عسقلان

1988/2/7

الـهمجيـــــه

عقارب الساعه تشير إلي الساعه الحاديه عشره ليلاً علي وجه التقريب ، كل شيىء علي ما يرام ...

إستودعت أهلي وغادرت غرفة الإستقبال ، حيث كنا نتحولق جميعاً حول جهاز التلفاز في برنامج مسلسل .. فدخلت غرفتي وأغلقت الباب خلفي .

كان الجو في هذا المساء ملبداً بالغيوم كعادته في أيام شهر شباط .. ذراتٍ من رذاد المطر بدأت تتساقط علي سقف المنزل ذو الغطاء القرميدي ، وإرتطام ذرات المطر بالقرميد يحدث إيقاعاً موسيقياً منتظماً مبدداً بذلك الهدوء ، ليختلط هذا الإيقاع الموسيقي بمواء القطط ، فأصابني صوت صراخها بإنقباض في الصدر وتوتر داخلي ، تبع ذلك زيادة دقات قلبي .

نظرت إلي قرص الساعه مره أخري ، حيث عقرب الدقائق كان قد تحرك من مكانه إلي أبعد من نصف دوره في محيط الساعه .

دقات قلبي أخذت تتسارع وتتزاحم في حركاتها ، فإنتابني شعور بأن شيئاً ما سيحدث .. إلتفت حولي مره أخري ، وأجلت ببصري في كافة أركان الغرفه لألتمس إجابةً لقلقي وإنقباض صدري ، فلم أشعر بأي شيىء غريب يمكن أن يفسر ذلك .. فكرت أن أغطي نفسي بالملاءه لكي أسترخي في النوم - لأنني طوال هذا الوقت كنت مُستلقياً فقط - فدثرت نفسي جيداً وأسدلت جفوني طلباً لنوم هاديء ،فإذا بي أستغرق في النوم .. لأستيقظ علي طرقاتٍ قويه إنهمرت علي

بوابة المنزل الخشبيه . ولم أحرك ساكناً من مكاني .. شعرت بحركة والدتي حيث نهضت لترد علي هذا الطارق الغير مرغوب فيه في هذه الساعات المتأخره من الليل .. إزداد الطرق المدوّي والمُصم للأذان قبل أن يبدأ صرير المفتاح في زرفيل الباب ، وقبل سحب المزلاج الذي يحكم الإغلاق .. وقبل أن يُفتح الباب كان الجنود يتسلقون الحائط ويداهمون البيت مندفعين إلي داخل المنزل وهم يصوبون سلاحهم نحو والدتي بعد تسليطهم لإشعاعٍ قوي نحوها ، وصوب جميع أرجاء المنزل أيضاً.

إلتفتت والدتي خلفها ، وإذا بالجنود يتسطحون منازل الجيران الملاصقه لمنزلنا .

صرخ أحدهم من داخل المنزل .

- أين محمود ؟؟

كان هذا الجندي ذو الوجه الأحمر الدموي يوجه كلامه لوالدتي - التي ما إنفكت في تلك اللحظات من ترديد التعاويد والترانيم وقراءة أية الكرسي تحوطاً لحفظ المنزل من أذي وشرور الأعداء - وكانت لهجة كلامه حاده وجافه ومُتلفظاً بلهجه عربيه مكسره ، وقبل أن ينتظر الإجابه إندفع نحو إحدي الغرف ومن خلفه بقية الجنود ، وعلي ما يبدو أنه كان قائد المجموعه المداهمه من الجنود الصهاينه فركل باب الغرفه بنعاله مما أحدث جلجله من جراء إنكسار الباب ...قفزت من سرسري مُستعداً لأجد فوهات البنادق مسلطه صوب وجهي مع صوت ذو الوجه الأحمر يقول :

- أنت محمود ؟؟ . وقبل أن أجيب صرخ مُكملاً..

" إرفع يديك إلي فوق دون حراك ، أنتم كلكم مخربـون وسنهصر عظامكـم فـي

أجسامكم ..

كان الصوت ممزوجاً بالصراخ والعربده ، وقبل الإحابه كان القيد الحديدي قد طوق معصمّي ، وكيساً من الخيش العفن لف رأسي ليحجز عينّي عما يدور حولي وأضاف ذو الوجه الأحمر الدموي - حيث ميّزته من خلال صوته -

- لقد إعترف صديقك ياسر بكل شييء ولم يبق أمامك مجالاً للنكران ، تكلم الحقيقه وإنقذ نفسك لأننا نعرف عنك كل شييء ، حتي منامك ومشربك ومأكلك وكل تحركاتك ... ؟!

- من هو ياسر هذا الذي تدّعونه .. أنا ليس لي علاقه بهذا الإسم .. ولا حتي أعرف شخصاً بهذا الإسم ؟؟

- لا .. أنت كذاب ،وكنت معه قبل عدة ساعات !!

- كلا .. فكل ماتقولونه غير صحيح ، وأنا لا أعرف لاياسر ولا كل ما تدعونه .

- إنخمد ...

صرخ الضابط وتوالت عدة ركلات وشتائم منه ، ثم أضاف :

- أنت كذاب .. أين كنت الليله ؟؟

- لم أغادر البيت هذه الليله ولا حتي ليلة أمس .

- لا .. نحن نعرف كل شييء ..

- أنتم لا تعرفون شيئاً .. وقلت لكم أنا لا أعرف ياسر .

وعند ذلك تدافع عدد من الجنود نحوي ، وإنهالوا بالضرب والركل .. لكمات وبصاق .. صراخٌ وعربده .. حتي أشبعوا ساديتهم ، وغليل صهوينيتهم وعنصريتهم .

ومن جانبي واجهت هذه الإهانات والإعتداء بمقاومه أحدثت جلجله ، فلم أقف مكتوف الأيدي حيث كرامة النفس غاليه وعزيزه ...

إختلست النظر حولي من خلال ثقوب في الكيس الذي يلف رأسي ..

- مخاطراً بجوله أخري من العنف ضدي في حالة إكتشاف أمري وأنا أختلس النظر - فوجدت أمي .. أبي ..أخوتي الصغار ، كلهم معصوبي الأعين ، ومرفوعي الأيدي فوق الرأس ، حيث كانت رؤوسهم صوب جدران فناء البيت .

في هذه الأثناء جرت عملية تفتيش همجيه شملت جميع أرجاء البيت ، وأدت إلي إختلاط كل شيىء في المنزل ببعضه البعض .. وداس الجنود الصهاينه المقتحمين علي كل شيىء في البيت ، حتي علي أجساد الأطفال الصغار ، وشجرة الزيتون الجاثمه وسط فناء البيت لم تنجوا هي الأخري من همجيتهم وساديتهم .. ومحتويات المنزل أيضاً تبعثرت هنا وهناك ، فإحتلط السكر بالملح والطحين بالعدس والأرز بحب اللوبيا .. وعلب البهارات سُكبت في علب القهوه .. وكل شيىء في البيت أصبح يشير إلي الفوضي والتدنيس حيث كل شيىء تدنس بأرجل جنود الإحتلال ؟!

الركلات داهمتني مرةً أخري وعلي مرأي من والدتي المسكينه التي وجدت نفسها مدفوعه بحنان الأمومه نحوي لتحميني من ركلات الجنود الصهاينه المسومين للعذاب ، ولكن قبل أن تجعل من نفسها ملاذاً لحمايتي ، وجدت نفسي قد سُحبت بقوه ليتم قذفي في سياره عسكريه مُغلقه ومزدحمه بالجنود الذين غذوا ساديتهم ببعض الركلات والضربات الملازمه للسع أعقاب السجائر التي كانت تطفيء في جسدي العاري المكدود ، والمتورم من الضرب

بحثوا في أرجاء المنزل هنا وهناك ، حتي كلوا من البحث دون أن يعثروا

علي شييء ، وعندما هموا بالخروج من المنزل ، كانوا قد صادروا معهم غُصن الزيتون الأخضر الذي داسوا عليه ، كما حملوا معهم بعض الأغصان النديه الطريه من أوراق الزعتر الخضراء التي كانت في البيت..وزهرة حنون مُتفتحه حمراء كنت قد وضعتها داخل مزهريه علي طاولة مُذكراتي ، إضافةً إلي خارطه رمزيه في نوطه صغيره لفلسطين . وهذه هي كل جريمتي عند العدو الصهيوني .

معتقــل عسقلان
1988/3/30

الكمين

كالعادة إستيقظ عبد القادر من نومه مبكراً ، حيث رائحة الدخان المتصاعد من الإطارات المطاطيه المحترقه تملأ المكان وتزكم أنفه .. فأدرك علي الفور أن المظاهرات وعمليات المواجهة اليوميه ضد قوات جيش الاحتلال وقطعان المستوطنين قد تجددت وحيث تعوّد أهل الحي الذي يقطنه علي شم رائحة الاطارات المشتعله والممتزجه برائحة الغاز والبارود المستخدم من قبل الجنود ضد المتظاهرين لتفريق حشوداتهم الصاخبه والساعيه لطرد الاحتلال ..فأصوات صراخ وهتافات هؤلاء المتظاهرين من الرجال والنساء تتطاير مع الرياح مدّويه ، لتختلط بأزيز العيارات الناريه وقنابل الغاز التي تطلق علي المتظاهرين لتواجه بكم هائل من الحجارة والزجاجات الفارغه التي كان يقاوم بها السكان لتهشيمها علي رؤوس الجنود المرتجلين والمحمولين المدججين بكافة الأدوات القمعيه .

عبد القادر لا يتجاوز السابعة من عمره .. نما وترعرع في عمر الانتفاضه .. وبشعور الجماعة ووعيه المتنامي وجد نفسه وقد إنخرط في زحام الانتفاضه ليشارك أبناء شعبه المنتفضين .. فعلي أصوات تكبيراتهم وهتافاتهم بالتضحية والفداء خرج من بيتهم بعد أن تلفح بكوفية والده السمراء ، ليتخذها لثاماً لوجهه لمنع التعرف عليه وعدم الكشف عنه عند مطاردته من قبل الجنود بين الأزقة والشوارع ، وحيث ستحمي وجهه أيضاً من الظهور في الصور التي تلتقطها كاميرات الصحافين والمراقبين المتجولة . فهو بالرغم من صغر سنه إلا أنه يتمتع

بذكاء خارق .. فمنذ بدء الانتفاضه تعلم الكثير عن كيفية الاشتراك في المظاهرات وقذف الحجارة وأهمية القناع أثناء المواجهة والصدام مع الجنود ، وأيضاً كيفية

الافلات من قبضة الاعتقال أثناء المحاصرة .. وحتي يتعلم ويستفيد فقد شاهد ذلك عملياً علي أرض الواقع مما أكسبه التجربه وقدرات عظيمه ، كما إكتسب من والديه الكثير من علو الهمه لما سمع منهما عن سياسة وممارسات قوات الاحتلال القمعيه ، وعن طرد وتهجير أبناء شعبه من وطنهم واخراج أهله من أرضهم وديارهم العزيزه علي قلوبهم .. ولم تمر ليلة دون رؤيته من خلال شاشة التلفاز للضرب الوحشي المبرح الذي يكيله الجنود للشباب والأولاد والنساء والحوامل ، وكذلك كسر أبواب المنازل واقتحامها علي أهلها عنوه للإعتداء علي أصحابها وبعثرة ممتلكاتهم .. فزاده كل ذلك حقداً وكرهاً علي الاحتلال وتصميماً علي القيام بواجبه في مقاومته ، وعزم أمره علي أن يشارك بقدرته كباقي أبناء شعبه ، فليقذف حجراً أو زجاجة كوكتيل حارقه أو يحرق دولاباً مطاطيا علي الطريق في وجه سيارات ومجنزرات العدو أو يهتف هتافاً في المظاهرات.. فأخذ يسأل نفسه بما ألهمه وصور له عقله المتنامي قائلاً :

- لماذا لا يقوم بذلك وهو يري الكثير من أترابه يفعلون مثل هذه الأعمال .. أليس هؤلاء المتظاهرين ياتري هم مثلي .. ألا يوجد منهم من هم في سني وجيلي ولي الحق بمشاركتهم .. لماذا نضال وثائر وجهاد وتحرير وحريه وفداء يشاركون في قذف الحجارة علي دوريات الجيش ويقيمون حواجز ناريه بإطارات الكاوتشوك المشتعله وأنا لا أفعل مثلهم .

- وهل أنا جبان واخاف الجيش لامتنع عن المشاركه.. فماذا سيقول أصدقائي في

المدرسه عني .. أليس من حقهم إتهامي بالجبن والخوف .. وألم يضرب الجيش والدي أمام عيني وعلي مرأي من والدتي التي إندفعت نحو الجنود للإمساك بهم وتخليص والدي من قبضتهم ، ألا أنهم ضربوها دون إستحياء أو خجل ، فأصابتها الكسور وأقعدتها ؟؟

تساؤلات كثيره كانت قد دارت في خلده فحولته الي بركان ثائر .. ولم يكن قرار المواجهة صعباً عليه ، فقد سمع من والده في أحد الأيام يقول " إن من يفكر سيصل الي التنيجة التي سيريدها حتماً "

وهكذا فبعد أن جهز نفسه وخرج من البيت لم ينتظر كثيراً حتي عبرت غير بعيداً عنه إحدي الدوريات العسكريه التي كانت تجوب شوارع المنطقه ، فقذفها بحجر وصرخ هاتفاً وشاتماً الجنود ثم ركض مسرعاً بإتجاه أحد الأزقة الصغيره حيث تبعه الجنود بعد أن نزلوا من عربتهم العسكريه ، وفي أثناء عبور الزقاق شاهد حوشاً للدواجن _ حيث إعتاد سكان بعض الأزقة علي إقامة أحواش لدواجنهم وطيورهم الأخري خارج بيوتهم في هذه الأزقة - وبسرعه خلع كوفيته وقميصه وقذف بهما إلي أحد البيوت المجاوره للزقاق ثم دخل الحوش وموّه نفسه بتقديم العلف للدواجن وصب الماء لهن في مِقرَهن ، وفي أثناء ذلك كان الجنود قد لحقوا به عبر الزقاق،فرأوه وهو يعلف الدواجن ، إلا أنه لم يدر في خلدهم بأن هذا الطفل المتواجد أمامهم هو نفسه الذي قذف عليهم الحجر،حيث تخلص من كل العلامات السابقه التي كانت تميزه .. فتقدموا نحو رأس الزقاق دون أن يروا أحداً غير عبد القادر الذي ظل ثابتاً في مكانه ، فعادوا أدراجهم من نفس الزقاق .. وما أن خرجوا من المكان،وبعد أن شعر عبد القادر بإبتعادهم عنه بمسافة معقوله،حتي لوح بيده

رافعاً شارة النصر ، ثم هتف وقذف حجراً نحوهم وفر من مكانه دون أن يستطيعوا اللحاق به .

بعد نجاحه هذا فكر بالقيام بعملية أخري ، فخطرت في باله نصب كمين للجنود للإيقاع بهم عند مطاردتهم اياه وهداه تفكيره إلي حفر حفرة بالقرب من تقاطع أحد الأزقة الضيقه .. ونظراً لحاجة هذه الخطه لعدد من الأشخاص لتنفيذها ، فقد عرض خطة هذه العمليه علي عدد من أصدقائه لمشاركته في تنفيذها ، واتفق معهم علي أن يقوم هو بإستدراج الجنود عند مطاردتهم إياه الي الزقاق الذي ستكون الحفره قد أعد داخله ، علي أن يكمنوا هم في الزقاق المجاور لحماية إنسحابه .. وبعد أن رابط أصدقائه في أماكنهم وتجهزوا بكمية من الحجارة والزجاجات الفارغه ،وسلحوا أنفسهم بالقضبان الحديديه .. جهز هو نفسه بالحجاره وسار إلي رأس الشارع حيث وقف هناك بإنتظار مرور أي سياره عسكريه ، وما هي إلا لحظات حتي شاهد سيارة دوريه تسير بإتجاه مكان وقوفه ، فقام بإخفاء نفسه حيث تداري خلف أحد الحوانيت المجاوره ، وما أن إقتربت منه حتي خرج من مكانه بسرعة وقذفها بعدد من حجارته ثم فر من مكانه ، فلحق به الجنود الذين أسرعوا وراءه وهم يطلقون رصاص بنادقهم بإتجاهه،فإنحرف هو في طريق انسحابه نحو زقاق الكمين كما خطط لذلك ، وتبعه الجنود حيث ما أن هرولوا خلفه في الزقاق حتي سقط أولهم وثانيهم في حفرة الكمين التي كان قد تم إعدادها وتغطيتها ببعض الصفائح المعدنيه الرقيقه والتي موهت بإهالة طبقة من التراب عليها،وعندما شاهد باقي جنود الدوريه سقوط زملائهم تراجعوا مذعورين وتوقفوا عن ملاحقة عبد القادر الذي كان قد إنعطف في هروبه نحـــو زقاق

أخر وعند ذلك إنقض أصدقاؤه المرابطين خلف الكمين علي الجنود ، فقذفوهم بوابل من الحجاره أفقدتهم صوابهم فبدأوا بإطلاق الرصاص في كل صوب وناحيه بعد أن شعروا بأنهم أصبحوا في خطر وإستطاع عبد القادر وأصدقاءه الإنسحاب عبر الأزقة والزواريب المجاوره بعد أن أن أوقعهم في الكمين .

معتقل عسقلان
1989/3/30

الغُـربـــــه

كانت ظروف المعيشه قاسيه ، فالحياه كلها بؤسٌ وشقاء ، ومعظم النازحين مشردين في خيام ، وحتي هذه الخيام لا تحميهم من قساوة المطر ولسع الرياح في فصل الشتاء ، ولا حرارة الشمس المحرقه في فصل الصيف ...

أبو خليل رجل في حوالي الخمسين من العمر ، وعلي الرغم من هذا السن ومن العمل المكدود في سنوات شبابه ، فإنه ما يزال يمتلك من قوة الجسد والعزيمه وكأنه إبن الأربعين ... يعيش في إحدي مُخيمات اللاجئين ، مثله مثل بقية أبناء شعبه الفلسطيني المُشّرد ، فلقد هاجر من إحدي قُري فلسطين الجنوبيه لا يملك شروي نقير ، سوي جلده وما عليه من أسمال ملابس باليه ، إضافةً إلي حماره القبرصي فهو رأسماله وكل ما تبقي له من ثروه يمتلكها .

كان له من العمر في ذلك الوقت ثلاثون ونيّف من السنين ، أما الأن فقد أصبح أبن الستين ، وله عشرة أولاد أكبرهم في الثلاثين من العمر ، ويعيل عائله مكونه من خمسة عشر نفراً ، والحاله علمها عند الله سبحانه وتعالي ، وعلي الرغم من ضيق الحال هذه ، فالإبتسامه كانت لا تفارق مُحياه .

مكث أبو خليل بعد الهجره والتشريد سنتين دون عمل ، علي الرغم من إمتلاكه الصحه والعافيه ، ولم يكل طوال هذه الفتره الزمنيه في البحث عن عمل .. فعمل مزارعاً في إحدي حقول قطاع غزه القليله فتره من الزمن إستطاع من خلالها سد بعض حاجياته القليله .. ومع ذلك أخذ يفكر في ترك عمله هذا والبحث

عن عمل يستطيع أن يسد له إحتياجات ومتطلبات البيت المتزايده وفقاً لتطور ظروف المعيشه..وإزداد وضعه المادي سوءاً علي سوء من جراء تركه العمل وركوده إلي الجلوس في شِق الجيران،إضافه إلي لعبه النّردوالدريس مع أبناء جيله

فكر بالذهاب إلي إحدي دول النفظ ، وخطرت علي باله بلاد الحجاز لكثرة ما سمع من الناس عن إستيعابها للكثير من طالبي العمل ، فسعي من أجل تحقيق فكرته هذه ، حيث إختلي بأم خليل وطرح عليها فكرته وعزمه علي السفر إلي الحجاز قائلاً لها :

- عسي أن يفتحها الله في وجهنا ياأم خليل ونحصل علي عمل نعيش من وراءه .

إمتنعت زوجته عن موافَقته في البدايه ، وألحت عليه أن يبقي في البيت عند أولاده ووالديه المُسنين ، ونصحته بضرورة التمسك بالصبر قائلةً :

- إن الوضع علي هذا الشكل الذي نحن فيه لن يطيل ، وأن تبقي هنا خيراً لك ، فإيش ما فيها مكفيها يا أبو الخل .

أصر أبو خليل علي رأيه بضرورة السفر إلي الحجاز من أجل البحث عن عمل ، وظل يقنع زوجته للموافقه علي مشروعه ، فهو يريد أخذ موافقة أم خليل قبل السفر حتي لا تأخذ علي خاطرها وتزداد هّماً وغّماً علي هم وغم .

شعرت أم خليل بتجهم وجه زوجها وإمتقاع لونه ، فلم ترد إستشاطة غضبه وتكدير جوّه ، فوافقت له علي غير رغبتها داعيه له بالتوفيق .

عمل أبو خليل من أجل الحصول علي المتطلبات اللازمه للسفر .. وبعد جهدٍ جهيد إستطاع الحصول علي هذه المتطلبات واللوازم .. من عقد عمل مزوّر إلي تأشيرة دخول لهذا البلد .

أعد نفسه لسفر طويل ، فقد تطول الإقامه هناك مما دفعه إلي التفكير بمصير عياله وأولاده الصغار طوال فترة غيابه . فسأل نفسه قائلاً :

- من ياثري سيرعي هؤلاء الأولاد الصغار .. من سيحميهم .. ومن سيعوضَهم عطف أبيهم المتدفق ؟؟

وكادت هذه الهواجس أن تقضي علي أماله ومشاريعه لتحسين ظروف عيشته ، ومن ثم وأدها في مهدها وهي في مراحلها الأولي .

تَغلب علي هواجسه تلك وجهز نفسه للسفر ، فرتبت الأمور، وعمل له أقاربه وعياله حفلة وداع وكل واحد منهم يحمله وصيه وطلب ، فقد أوصاه صديقه أبو حسين علي فستان دِمْشقي لزوجته أم حسين ، وألح عليه بذلك . كما طلب قريبه أبو محمد منه أن يحضر له بدله مُشترطاً عليه أن تكون من الصوف الإنجليزي ، أما جاره أبو علي فكان طلبه الوحيد أن لا ينساه بالرسائل وإرسال التحيات والأشواق مع كل عائدٍ إلي البلد .

إرتبك أبو خليل في البدايه من كثرة الطلبات وعدم قدرته علي تلبيتها ، فربما لايحصل علي عمل .. ولا يعرف ماذا يخبيء له القدر من مفاجئات .

بكي أبنه الأصغر سمير عندما رأي والده يتأهب للسفر ، وبكت أخته سميره لبكاءه ، فتأرقت أمهم حيالهم ، وطلبت من زوجها أن لا يتواني في تخبيرهم عن وصوله حال نزوله أرض الحجاز .

لبس أبو خليل زيّه القروي الوطني ، وبعد إكمال العُده سافر برفقة بعض الأصدقاء .. وكان معه في السياره بعض المسافرين الساعين لطلب الرزق والبحث عن عمل .

تحركت بهم السياره وأخذت تطوي السهول والوديان والجبال وراءها طيّاً .. وسرح أبو خليل من طول مسافة السفر ، وإسترسل في تفكيره وخياله بعيداً ، فأخذ يفكر في مشاريعه المستقبليه .. كيف سيصبح غنياً .. كيف سيشتري كل الطلبات التي أوصي عليها الجيران والأقارب .. وأنه في حال العوده سيشتري أرضاً ويبني بيتاً جميلاً عليها ؟!

ووصل هو وزملاءه أرض الحجاز بعد أن إجتازوا نقطة التفتيش والمعاملات علي الحدود .. وبعد توقف إنطلقت بهم السياره حتي وصلت العاصمه ، وهناك نزلوا في المنطقه التجاريه حيث هي مُلتقي جميع المغتربين والقادمين الجدد . وإستطاع التعرف علي بعض الناس هناك ، وأخذ يستفسر منهم عن أحوالهم وعناوين إقامتهم ثم تركهم وإنصرف بعد أن ترك أصدقاءه .

ولم ينسي وصية زوجته فقام بكتابة رساله مُقتضبه عن وصوله ووضعها في أقرب صندوق بريد ، وبعد أن إنتهي من كل ذلك بدأ علي الفور مشواره الصعب في البحث عن عمل .

كان الجو حاراً في هذا اليوم ، فسأل نفسه قائلاً :

- كيف سأتحمل القدره علي العمل في مثل حرارة هذا الجو الخانق جداً .. كيف يمكن لي أن أعمل وأولادي الصغار يتضوّرون جوعاً ؟؟!

راودته هذه الأفكار والهموم فأشغلت تفكيره ، ثم أضاف متسائلاً :

- ماذا ياتري لو لم أحصل علي عمل .. من أين سيعيش الأطفال والعيال .. من أين سأحضر الأموال اللازمه لسفر العوده ؟؟

ترك أغراضه وحوائجه في مكان للأمانات بإحدي الكراجات المتناثره في

هذه المنطقه ، وذهب للبحث عن عمل .

مشي وسار .. حام ودار .. سأل عن عمل هنا وهناك .. طرق أبواب المحلات والشركات .. فساوموه علي الأجر .. وفي نهاية المطاف إستطاع إيجاد عمل في إحدي شركات البناء المُداره من قبل " الرساميل " البريطانيه في هذا البلد ، وبعد أن إستطاع تأمين العمل ، سعي في البحث عن غرفه للسكن ليأوي إليها بعد الإنتهاء من عمله اليومي ، علي أن يتناسب ثمن أُجرتها مع وضعه المادي الصعب والقليل المعاش. بحث حتي كلّ فلم يجد ضالته .. فإتفق مع صاحب العمل في الشركه علي أن ينام في مكان العمل في إحدي عمارات الشركه الغير جاهزه والقائمه تحت البناء ، فوافق له مسؤول العمل علي ذلك بعد إمتناع .

وفي هذه الشركه كان يعمل معه عمال من بلدان مختلفه ، فمنهم المصري ومنهم الباكستاني والهندي والماليزي .. فإستغل أبو خليل هذا التواجد لهؤلاء العمال وبدأ يثير أمامهم قضايا سياسيه وإجتماعيه كثيره ، فناقش وإياهم شؤؤن العمل .. وحالة التمزق العربي .. وضياع فلسطين ومأساة شعبها .. والتواجد الإستعماري في الكثير من أجزاء الوطن العربي.. وعمالة بعض الأنظمه والزعامات العربيه للإداره الأمريكيه وبريطانيا .. وحياة النعيم والبدخ التي يحياها إمراء وملوك وسلاطين النفط .. والفقر والمدقع للكثير من سكان الدول العربيه والعالم الثالث .. ونهب الإمبرياليه الأمريكيه لخيرات وثروات الشعوب بأبخس الأثمان .. وغير ذلك من هموم وقضايا تلك الساعه .

كان العمل شاقاً وقاسياً إلي أبعد الحدود ، ناهيك عن المعامله السيئه التي تلقاها هو من مدير العمل بسبب هويته الفلسطينيه الملازمه له والمتمسك بها

كتمسك رئتيه بالأكسجين ، إضافه إلي سلوك مدير الشركه وموظفيها الكبار الفظ والإستفزازي،حيث كانوا ينظرون إليه كفلسطيني مُحرض ويسعي لتأطير العمال ودفعهم من أجل المطالبه بأجرٍ أحسن ومستوي معيشه أفضل .

ولم يستطع الصبر علي كل هذه الإهانات والألام ، فثارت ثائرته وخطرت في باله فكرة ترك العمل في هذه الشركه والإنتقال للعمل في مكان آخر إلا أنه وبعد نقاش بينه وبين نفسه توصل إلي قرار بالإستمرار في العمل حتي نهاية الشهر .. وبعد أن حصل علي الأجر ترك العمل في هذه الشركه .

كانت صورة أبو خليل لا تفارق ذهن أبناءه .. كانوا دوماً يترقبون عودة أبيهم إلي البيت بفارغٍ من الصبر .. لم يستطيعوا العيش بدونه ، فهم يُحشرون في البيت من الساعه السابعه مساءاً ويوصدوا الأبواب علي أنفسهم من تلك اللحظه ، حيث لا يتجرأون علي التجول بعد هذه الساعه .

ولم يكن تشوق أبو خليل لرؤيتهم أقل من تشوق أولاده وتلهفهم لرؤيته ، فهو الأخر متلهف ومشتاق لرؤية أولاده وتقبيلهم .

بحث أبو خليل عن عمل جديد ، ولم يكن مشواره هذه المره بالسهل ، فقد واجه مصاعب جمه ، وإمتلئت طريقه بالأشواك والعراقيل .. إلاّ أنه إستمر في مشواره ،وبعد جهدٍ جهيد إستطاع إيجاد عمل وذلك بساعدة أحد الأشخاص الذين تعرف عليهم هناك .. وكان العمل هذه المره في إحدي شركات النفط التي تُدار من قبل الشركات الأمريكيه الإستعماريه في المنطقه .. كما إستطاع تأمين مكان للسكن ليس بعيداً عن مكان العمل حتي لا ترهقه تكاليف مصاريف الأجور ، ولاعناء طول مشوار السفر .

عمل في هذه الشركه فتره قصيره من الزمن ، وكان معاشه قليل ولا يتناسب مع ما يبذله من مجهود في العمل،فهو يعمل من الساعه السادسه صباحاً وحتي الرابعه مساءاً مقابل حُفنه من الريالات .

فكر في الأمر فلم يعجبه هذا الوضع الذي هو عليه ، وبدأت مشاكله تستفحل وهمومه تزداد من شدة ضيق الحال ، فالمعاش قليل والعمل متقطع لتدهور الصحه ، حيث أخذ المرض ينخر في عظامه .. والناس في هذا البلد تنظر إليه كفلسطيني غير مرغوب فيه ، وقَذرْ . مُحرض ، يزاحمهم علي أرزاقهم في بلدهم ، فإبن البلد مُعز ومدلل في بيته ، وإبن البلد له بيت فخم وأملاك وسياره و.. و.. ، أما الفلسطيني فلعنة الفراعنه تلازمه أينما حل في ترحاله وتنقله .

أصابته كل هذه الهمموم والأفكار والخواطر بدوران في الرأس ، ونزلت عليه نزول الصاعقه وذلك لعدم إستطاعته إستيعاب كل هذه الأشياء التي دارت في دماغه كدوران عقرب الدقائق في قرص الساعه ، وزاد من ضيقه وغليانه التحرشات التي بدأ يقوم بها ضده صاحب البيت الذي يسكن فيه ، حيث طالبه بزيادة أجر السكن ، وإشترط عليه شروط وشروط تزيد من العبء المُلقي علي كاهله .

عمل أبو خليل في الشركه بأقصي طاقته ، ولم يعزف عن التفكير طوال هذه الفتره .. كان يفكر بوضعه البائس ومعاناة عياله ، وإزداد وضعه بؤساً عندما إكتشف بأن هناك مُخططاً في الشركه لطرد بعض العمال وأن إسمه من ضمن العمال المنوي طردهم .. فتسائل بينه وبين نفسه قائلاً :

ـ ماذا أفعل لإستباق الزمن ومواجهة الطرد.. ليس لي وساطه أو أصدقاء أو

معارف أو أقارب من الشخصيات البارزه في الشركه ..ووضعي المادي لا يساعدني علي دفع الرشوه لمدير العمل ؟!

ثم أضاف متسائلاً بعد هنيهه من الصمت .

ـ ما العمل إذا ياأبا خليل لمواجهة ذلك ؟؟

إلتفت من حوله يميناً وشمالاً ، فإستدار من شدة الدهول وهول المأساه ، وإكفهر وجه ضيقاً من المستقبل القائم الذي ينتظر أحواله ومصائبه .

وبدأ بالتفكير في مُسقبله علي هذا الشكل فلم تعجبه النتيجه التي توصل إليها .. وعاد إليه الشوق والحنين إلي أولاده وزوجته وأهله وأقاربه وأصدقاءه للمره الثالثه ..كما أخذ يفكر في وطنه السليب .. وبعده عن بلده .، وتكميم الأفواه والحريات في هذا البلد .. ومتاهات القضيه الفلسطينيه السائره في متاهات الأمم المتحده .. وموقف العرب المتخاذل .. وتحكم الدول الأجنبيه الإستعماريه وشركاتها بمصير وثروات العرب .. و .. و .. من الأفكار والهواجس والهموم التي أرهقته وشلت تفكيره ، فتمني لو لإنشقت الأرض وإبتلعته ؟!

فكر في العوده ، وبحث عن أصدقاءه لتوديعهم فلم يجد أحداً منهم .. حمد الله كثيراً لعدم ملاقاتهم لأنه ندم علي تفكيره هذا .

حزم حقائبه البائسه ، ولم يشتري ما أوصاه عليه الأقارب والجيران ، ولا الفستان الدمشقي لزوجة صديقه أبو حسين ، ولا بدلة الصوف الإنجليزي لقريبه أبو محمد ،ولا أي شييء آخر للعيال ، فهو لايملك المال اللازم لشراء كل هذه الأغراض والأشياء . حدد موعداً للسفر وقطع تذكره متأهباً للعوده ، لاعناً كل من دفعه إلي السفر لهذا البلد .

وصل إلي بيته وقت الأصيل علي حين غِرّه ، ورآه أولاده الصغار وهو ينزل من السياره فتراكضوا إليه .. إحتضنهم وعانقهم طويلاً عناق المشتاق .. وهلل الأولاد لعوده أبيهم ، ففزع الجيران علي الحدث ، حدث عودة أبو خليل .

إستقبله الجيران بالإبتسامات العريضه ، وطال العناق مهنئينه بسلامة العوده ، وكلهم يمني نفسه بالحصول علي شييء من حقائب أبو خليل ..هذا لإبنه ، وذاك لأخيه الصغير ، والآخر لإبنته الصغيره !! دون أن يعرفوا بأن أبو خليل عاد بخفي حُنّين . إلتفت أحدهم إلي إم خليل قائلاً لها :

- إهنيتي يا أم خليل بسلامة عودة أبو خليل .

فردت أم خليل عليه قائلةً :

- عقبال عندكم بعودة أحبابكم وأعزائكم وإن شاء الله بتجتمعوا والديار عامره .

وأخذت الإستفسارات تنهال علي أبي خليل من جانب الأقارب والجيران سائلين إياه عن الوضع في بلد الغُربه .. فسأل من له أقارب هناك عن أقاربه .. ، ودار حديث طويل بينه وبين المستفسرين .. سأله صديقه أبو سعيدعن الوضع في الحجاز وعن أوضاع الفلسطينين في هذا البلد وعن مستوي المعيشه ومجالات العمل ؟؟

نظر أبو خليل فيمن حوله نظره طويله قبل أن يجيب ، ثم زفر زفرةً طويلة تعبيراً عن الأسي والحزن الذي ينم في داخله ، حيث أجاب قائلاً :

- إن الوضع علي عكس ما تسمعون وتتصورون ، فالحياه جحيم .. والعمل قليل. والفلسطيني مُهان وسكان البلد يعاملوننا علي أساس أننا أُناس من الدرجه الرابعه في سلم المجتمع حسب تقسيمهم المجتمع عندهم !!

لم يصدق أبو سعيد ما سمعته أُذناه من كلام أبو خليل وسأل مُتعجباً :

- إيش بيتقول يا أبو خليل .. هل أنت جاد فيما تقوله .. مش معقول هالكلام اللي أنت بتحكيه يازلمه .. فالناس غنيت من عملها في الحجاز .. ولو كلامك صحيح فليش بيتعبوا أنفسهم وبيذهبوا هناك مُتحملين مصاريف السفر وعناء الغُربه ؟!

لم يحرك أبو خليل ساكناً .. كانت عيناه تلمعان من شدة الحقد والغضب وترسلان أشعه حاده كحِدة السكين المُجهز للذبح ، دلاله عن سخطه علي الوضع هناك .

عرف أبو سعيد بأن أبو خليل جاد في أقواله وكلامه وأنه لا يمزح ، وأن سفره لم يكن موفقاً ، فتركه وإنصرف .

إستمر أبو خليل يقص علي الجيران والأقارب والمؤتمين حوله المصاعب التي واجهته ومعاناته مع الغُربه ومع البحث عن عمل،والمعامله السيئه التي تلقاها ويتلقاها الفلسطينيين من أهل البلد والشركات علي حدٍ سواء . وكيف كانوا ينظروا إليه كفلسطيني مُحرض ويلاحقهم علي أرزاقهم في بلدهم .. وأن كرامة الإنسان الفلسطيني مُداسه حيث أن إبن البلد السعودي والأجنبي الأمريكاني والإنجليزي هم الأسياد وما تبقي عبيد .

أدرك الجيران والأقارب أن أبو خليل لم يستطع الحصول علي ما كان يُمني نفسه به ، فبدؤا بالإنفضاض من حوله واحداً إثر واحد والأسي يعتصر قلوبهم ألماً وحزناً علي حالة أبو خليل والفلسطينين المقيمين هناك ، لاعنين حكام العرب وملوكهم ، ثائرين علي أوضاعهم .

خلّد أبو خليل إلي نفسه بعد مغادرة الجيران والأقارب له ، وأخذ يُفكر ويفكر جائلاً ببصره في الغرفه مرات ومرات ، ثم رفع بصره إلي السماء ، مناجياً

ربه سبحانه وتعالي قائلاً :

- لماذا كل هذه المصاعب والهموم يارب .. لماذا كل المصايب واقعه علي شعبي .. ماذا فعلت حتي تُغلّق الدنيا في وجهي .. لماذا أنا تعيس وغيري من الناس سُعداء .. ماذا إقترفت من جُرم حتي أعاقب عليه بالفشل .. إنني لم أتجنّي علي أحد طوال حياتي ؟؟!

إستغرق في التفكير فشرد ذهنه أبعد وأبعد .. وشعر أولاده وزوجته بذلك ، فسألوه عما يجول في خاطره .. وطلب منه إبنه خليل أن ينسي همومه وأحزانه قائلاً له :

- ما يهمش يا بابا علي إللي صار .. وإنسي إللي جرالك .. وريح بالك .. فكل الفلسطينيون زي بعضهم والدنيا رايحه ، والمهم دروسها وعبرها ، واللي ما له حظ لا يتعب ولا يشقي .

لم يستطع أبو خليل ترك همومه وأجابهم بأنه يُفضل أن يموت جوعاً في بلده علي أن يحيا سعيداً بعيداً عن بلده وعياله ..

لم يستمر أبو خليل في الحديث ، حيث قطعه فجأه ، وعاد إلي تفكيره حتي أرهقه هذا التفكير وقلة النوم .. ولم يستطع مقاومة النعاس الذي مليء جفنيه وسيطر عليه ، فترك عياله مُتمنياً لهم ليله هادئه ، وإنصرف إلي فراشه وفي داخله أشياء وأشياء .

معتقـــل عسقـــلان
1984 /10/20

وإستشهد الإبن

"ما شوفتيش إبني خليل ....؟! "

دائماً ما كان يتردد هذا السؤال علي لسان أبو خليل عند مشاهدته لأي شخص من معارف إبنه الوحيد "خليل" . وكم كان هو يطالعنا بالسؤال كلما رآنا ، فقد كنا أولاداً صغاراً في ذلك الوقت ، وكان يسكن في حارتنا هذا الرجل الذي أظن أنه تجاوز الخامسه والستين من عمره ، نحيل الجسم ، قصير القامه ، أبيض الرأس ، وغالباً ما كان يضع غطاءاً لرأسه عباره عن كوفيه بيضاء أصابها البلي من كثرة الإستعمال ، فقير الحال ، وبالرغم من ضعف حاله هذا وعيشه المكدود ، فالإبتسامه لا تفارق مُحياه ، ولم يؤثر ذلك أيضاً علي بشاشته وتواضعه ، فقد عمل دائماً علي إدخال السعاده والراحه إلي نفوس الأولاد والشباب من أبناء الحاره ومن أصدقاء إبنه ومعارفه ، وما من حلقة تجُمع لأولاد من أصدقاء خليل، كان يراها إلاّ وسأل أحد الجالسين فيها أو أكثر عن إبنه خليل ، وسواء أخبر عن مكان خليل أم لا كان يسير في طريقه ليسأل آخرين ، وفي بعض الأحيان كان يشاهد خليل بنفسه ، أو يكون قد حصل علي جواب من أحد الأشخاص برؤيته لخليل ، أو عن مكان وجوده ، ولكنه كان يذهب إلي مكان آخر ليسأل آخرين مره ومرات ، حيث أن ذلك أصبح عاده ملازمه لنهج حياته .

ونحن كأولاد عندما نشاهده ـ وقبل أن يسألنا عن مكان خليل ، أو إذا ما كنا قد رأيناه ـ كنا نسبقه في الكلام لنسأله قائلين:

ـ بدك خليل ؟؟

وهو بدوره كان يسعد كثيراً لذلك ، ويجيب علي سؤالنا له "بنعم" ثم يضيف قائلاً ـ صحيح شُفت خليل ياعزيزي .. بأعطيك بيضه مسلوقه ؟؟

هذا هو سؤاله دائماً لنا ولغيرنا من مجموعات الأولاد والشباب الذين يعرفون إبنه خليل ، وحيث أنه لا عمل له سوي مراقبة خليل والبحث عنه في كل شارع ومكان ـ ما خلا بيعه لأغطية رأس "قبعات" كان ينسجها علي يديه ليبيعها كهدايا تذكاريه للسياح الذين يتوافدون إلي شاطيء بحر غزه ـ ونظراً لذلك ولكثرة تجواله داخل أزقة وشوارع المخيم ، فقد أصبح معروفاً للجميع وللصغار قبل الكبار .

وأذكر أنة في إحدى المرات .. كان لجار لنا حماراً وعربة كارو .. وكان يربط الحمار بالعربة عندما يكون الحمار في حالة إستراحة وإسترخاء ..وبطفولتة قام خليل بمضايقة الحمار .. مما دفع صاحب الحمار بمعاقبتة بالضرب . وعندما علم والد خليل بذلك حضر الي بيت صاحب الحمار ليسألة قائلا : انت يا أبا كامل ضربت إبني خليل ، وانا مش زعلان من ذلك ، ولكن " دسترت علية" قيل ضربة "يعني قلت دستور " ؟؟!

وفي فترة طفولة إبنه خليل ، حتي وبعد أن تجاوز ولده العاشره من عمره، ومن شدة حبه له،كان يأخذه إلي دار الخيال "السينما" مشياً علي الأقدام ليسير به عدة كيلو مترات وهو محمول علي أكتافه بعد أن يكون قد وضع له في جيوبه كل إحتياجاته من الطعام ، حتي إذا ما أصابه الجوع أطعمه مما في جيوبه .

وبالرغم من حب أبو خليل لولده وحرصه عليه ، فهو في نفس الوقت كان يخشاه ويخافه ، فوحيد صدامي بطبعه .. غير ميال للمهادنه ، ويصاب بالحرج

من سؤال والده عنه ، مما كان يدفعه ذلك لطرده وزجره كلما جاء ليسأل عنه ، ولكن أبو خليل كان لا ينصاع لطلب ولده ليذهب إلي البيت ، بل ليذهب إلي أي مكان قريب من مكان وجود إبنه ، حيث كان يختبيء هناك ويأخذ في مراقبة وحيد من خلف مكانه فهو لا يقدر علي تحمل عدم رؤيته لخليل أو غيابه عن البيت ، لما لا وهو وحيده وفلذة كبده ويخشي عليه من أي سوء أو مكروه قد يصيبه. ومقابل كل ذلك فخليل بفتوته الناشئه وبعد أن أصبح شاباً يافعاً يموج بالحيويه ، لا يريد من والده التدخل في شؤونه ، وهو يرفض إسلوب والده في السؤال عنه لأنه يخجل أمام أصدقاءه من متابعته لتحركاته وكأنه لا زال طفلاً قاصراً ، كما أنه لا يقبل علي نفسه إستهزاء أصدقاءه من والده.

لقد كانت حياة خليل هي شغل أبو خليل الشاغل ، حيث لا يعود في نهاية كل يوم إلي البيت ليرقد في سريره إلي جوار زوجته إلاّ بعد أن يكون قد إطمئن بعودة خليل إلي البيت ، أما إذا غاب خليل عنه لمدة يوم أو عدة ساعات ، فتراه لا يعرف للجلوس طعماً من كثرة بحثه عنه سواء في الأماكن التي يرتادها ومحتمل أن يتواجد فيها أو غيرها من الأماكن الأخري .

وكثيراً ما حاول بعض الصبيه وأصدقاء لوحيد إستفزازه ومضايقته وذلك بإبلاغه -عند سؤاله إياهم - بأن خليل حصل له مكروه أو تشاجر مع شخصٍ ما .. وكان أبو وحيد عندما يسمع ذلك يأخذ في البكاء والعويل ويضرب رأسه بكلتا كفتيه، ليسير بعد ذلك في الشوارع والأزقه كالملدوع من أفعي .

وقد صادف في إحدي المرات أن تشاجر خليل مع أخي الكبير وجرح من يده فلم يعد للبيت ، وعندما علم أبو خليل بما حصل مع خليل جن جنونه وحضر

إلي بيتنا مسرعاً وهو يبكي ، وقبل أن يستفسر عما حدث ، أخذ يُحمّل والدتي مسؤولية عدم عودة خليل إلي البيت - حيث فر من المكان - ولم يرتاح له بال إلاّ بعد أن عاد خليل إلي البيت وإطمأن عليه .

وبالرغم من دلاله لوحيده وعدم قدرته علي تحمل غيابه عنه ، فإن ولده هذا لم يكن عاطلاً عن العمل حيث كان يعمل أحياناً في مدينة يافا بفلسطين المحتله ويذهب إلي عمله هناك يومياً .

وفي إحدي الأيام وحيث الرؤيه صعبه بسبب الضباب الكثيف الذي كان يلف السماء بحلةً سكنية اللون يصعب من خلالها الرؤيه ، ومن جراء ذلك تكاثرت حوادث الطرق والتصادم بين السيارات والناقلات فراح ضحيةً لذلك قتلي وجرحي من العمال المسافرين إلي أعمالهم ، حيث لم يتعرف علي جثث بعضهم لتفحمها من الإحتراق - وعندما تناقلت أخبار هذه الحوادث إلي مسامع أبو خليل ، روّعه ذلك وظل ليومه يتلوي وينتحب جائباً أزقة وشوارع الحاره والمخيم إنتظاراً لعودة إبن خليل ..، وإزدادت دقات قلبه إضطراباً مع هبوط الظلام ، حيث تأخرت عودة خليل إلي البيت علي غير عادته في كل يوم ، ومن جراء ذلك إنتابته الهواجس والشكوك بأن إبنه خليل ربما قد يكون مـــن بين القتلي ؟ وأتذكر بأنـه في مساء هذا اليوم حضر إلي بيتنا وطفق في البكاء والنحيب أما والدتي التي لم تعرف في البدايه سبب بكاءه ، حيث أسقط نفسه متمدداً بطوله علي عَتبة بوابة المنزل ، وعند سؤال والدتي له عما يريده ، إستفسر منها عن أحد إخوتي إذا ما كان قد عاد من العمل .. حيث يريد أن يستفسر منه عن ولده خليل ؟؟ وأخي هذا لا يعمل سوياً في مكان واحد مع إبنه . ولكنهم يعملون في مدينه واحده

وتربطه بخليل علاقه جيده . وبالرغم من طمأنة والدتي له بأن إبنه سيعود وأن أخي هو الأخر لم يعد ، إلاَ أن ذلك لم يهديء من روعه وبقيّ مرابطاً أمام البيت ساعات طويله كان خلالها يترك المكان لعدة دقائق ، ثم يعود ثانيه ليسأل والدتي مره أخري عن خليل ،حتي أزعجها كثيراً من تكرار أسئلته ولإتهامه لها بأنها تخفي عنه الحقيقه حول أخبار ومصير ولده ، حيث تصور في كامن نفسه بأن أخي قد عاد من عمله ، ولم تنفع معه كل محاولات التهدئه والطمأنه ... وما أن إنتصف الليل حتي شعر أبو خليل بالتعب والألم فأراد العوده إلي البيت ، وقبل أن يهم بالمشي لمح علي رأس الطريق شبحاً يتحرك في الظلام بإتجاه طريق سيره ، ورويداً رويداً بدأت ملامح هذا الشبح تتضح له ، فإذا به ولده خليل وقد عاد لتوّه من عمله بعد أن تعطلت به واسطة النقل التي كان يستقلها في طريق عودته إلي البيت . وأمام هذا المشهد إنفجرت أسارير أبو خليل وإندفع مسرعاً نحو خليل ، فإحتضنه بحراره تخضلت لها مقلتيه بهتون الدمع .

وتمر الأيام ويشتعل لهيب الإنتفاضه في وجه قوات الإحتلال الصهيوني الغاصب داخل الأرض المحتله ، وعندها وجد خليل نفسه وقد إنخرط في معمانها أسوةً بأبناء شعبه ، حيث أملي الواجب الوطني عليه ذلك ..وشاء القدر أن يستشهد برصاص أحد الجنود الصهاينه بعد أن قدف دوريته بحجر . ونُقل خبر إستشهاده إلي والده الذي تلقاه بشجاعه ورباطة جأش منقطعي النظير ، ودون أن يذرف دمعةً واحده قال :

" فداك ياوطني .. المجد للشهداء .. والبقاء للإنتفاضه "

معتقل عسقلان
1989/3/21

المحققـــــــــون

كان الظلام شديد الحلكه في تلك الليله عندما داهم بعض الجنود الصهاينه المدججين بالسلاح بيتنا.. وما هي إلاّ لحظات حتي وجدت نفسي مقيد القدمين واليدين ومعصوب العينين .. سُحبت و قذفت بقوه داخل سياره عسكريه إنطلقت مُسرعةً بإتجاه الشارع الرئيسي خارج المنطقه التي أقطنها .. وقد شعرت من تحول جسدي من زاويه إلي أخري علي أرضية السياره بأنها إجتازت بعض المنعطفات والطرقات الفرعيه .. وبعد سيرٍ قصير للسياره شعرت بهزه عنيفه أصابت جسمي نتجت عن التوقف الفجائي للسياره .. وعندئذٍ سمعت صرير مزلاج بوابه كبيره يُدار ليُفرج عن فراغ داخل سور إحدي البنايات الضخمه ، إجتازته لتتوقف بعد ذلك أمام إحدي البوابات الداخليه الصغيره .

الأنوار داخل هذا المكان كانت ساطعه مما جعل الليل شبيه بالنهار .. فالكشافات والفوانيس الكهربائيه تنتشر في جميع أرجاء المكان وفوق الأسوار ، وحراس الأبراج يسلطون نور كشافاتهم في كل صوبٍ وناحيه من المكان .

نزل الجنود من السياره حيث تقدم كبيرهم بإتجاه هذه البوابه الصغيره ، أما الأخرين فقد إستداروا نحو باب السياره الخاص بمكان نزولي وطلبوا مني بلهجة حاده النزول بعد أن أوسعوا لي متسعاً من المكان ، وجروني إلي حيث كان يقف كبيرهم الذي قام بالضغط علي جهاز منبه صغر كان مُعلفقاً فوق جدار البوابه ، وعلي الأثر إنفتحت كوةً صغيره في الباب كان يجلس خلفها أحد الحراس ، فدار

حديث باللغه العبريه بين الطرفين سمعت بعضاً منه حيث لديّ إلمام بهذه اللغه .. وما هي إلاّ ثوانٍ معدوده حتي خشخش المفتاح في الزرفيل ليبتلعني البناء بعد ذلك داخل ظلامه .. وعندما تم إزاحة العصبه عن عينيّ أدركت حينئذٍ أنني أتواجد داخل سجن كبير ؟؟

لم تستغرق عملية إعتقالي من البيت وحتي وصولي إلي هذا المكان أكثر من نصف ساعه من الزمن تعرضت خلالها لبعض الضربات والكدمات التي لازمتني طوال فترة سفري .. دفعني أحدهم إلي إحدي الغرف لكي يتم تقييد إسمي في ملفات السجن لدي أحد الضباط ثم سُحبت إلي غرفه تسمي مخزن السجن لتعميدي أسيراً فلسطينياً .. وعلي الفور بعد الإنتهاء وجدت نفسي وجهاً لوجه أمام رجال التحقيق"المخابرات" حيث بدأوا معي عملية تحقيق سريعه ، فأخذوا في توجيه الأسئله للرد عليها من قبلي موجهين لي في نفس الوقت العديد من التهم الملفقه ، وقد رافق توجيه إستجوابهم هذا تعرضي لجوله من العنف الجسدي والحمامالبارد وتكميم الرأس بأكياس عفنه من القماش الخشن والتي أشد ماضايقتني رائحتها الكريهه الناتجه عن تجمع كميات كبيره من غاز الكربون المسببه للإنهيار العصبي .

كان أول سؤال وجه لي يتعلق بأحوالي الشخصيه والمعيشيه ، وبعد ذلك إنتقل الإستجواب إلي توجيه أسئله أكثر أهميه وخطوره .. لقد بدأ المحققون يتعمقون في أسئلتهم .. سأل أحدهم :

ـ ما إسمك ..؟؟

وعلي الفور قلت :

- " لا أخالكم تجهلون إسمي فأنتم تعرفونني حق المعرفه وها هو إسمي مُسجل أمامكم ، فلو أنكم لا تعرفون إسمي حقاً لما قمتم بإعتقالي " !!

وعند ذلك قاطعني قائلاً :

- نقول لك ما إسمك ؟؟ وتبع تكرار سؤاله بصفعه قويه علي وجهي أثارت جميع حواسي ، فأجبت متسائلاً :

- إسمي ؟؟

- نعم إسمك !!

- آه .. إسمي " جهاد "

فتابع إستجوابه بسؤال أخر ..

- إيش بتيشتغل ؟؟

- أشتغل عاملاً بالإجره اليوميه وفي جميع الأعمال داخل مدينة يافا ، وكل يوم أشتغل في مكان وعمل جديد وأحياناً أشتغل وأحياناً لا .

- و هل أنت راضٍ عن ذلك ؟؟

- نعم راضٍ عن ذلك ، فإذا لم أشتغل ، فمن أين سأعيش ؟؟

- طيب أخبرني من هم أصحابك ؟؟

- ليس لديّ أصحاب محددين ، فجميع الشباب في الحاره هم أصدقائي .

وقبل أن أكمل حديثي في الرد علي سؤاله هذا . تفاجئت بصفعه قويه أخري وجهت إلي وجهي وكان مصدرها المحقق الآخر الذي كان يجلس بطرف المحقق الأول ، وتبع هذه الصفعه بضربات أخري وجهت إلي أنحاء مختلفه من جسمي ، وأخيراً صرخ في وجهي قائلاً :

ـ أنت كذاب ياقذر ، هل تعتقد أننا لا نعرف من هم أصدقاءك ؟؟

عند ذلك تدخل المحقق الأول قائلاً للمحقق الذي إنهال عليّ لكماً وصفعاً:

ـ " لا أتركه ياجوني .. لاتضربه .

وحجز بيننا مُضيفاً القول :

لماذا ضربته .. إنه سيقول لنا كل شييء ؟؟

ـ لا ياجوني .. إنه يجيد المراوغه ولا يريد أن يقول الحقيقه ..

وهنا قاطعت كلامهم قائلاً :

ـ كلا .. أنتم تعرفون كل شييء وأنا لاأخفي عنكم شيئاً .

في هذه اللحظه تدخل ضابط تحقيق آخر كان يتواجد معهم في الغرفه ، سمعتهم ينادونه " أبو جورج " فقال موجهاً سؤاله لي بعد أن تفرس كثيراً في وجهي ..

ـ " طيب .. بكم تعمل في اليوم " ؟؟

لم أفهم سؤاله فطلبت منه التوضيح أكثر بالمقصود من سؤاله ، حيث يبدوا أنه كان يتدرب علي أساليب ممارسة التحقيق . وهنا تدخل جوني موضحاً سؤال أبو جورج قائلاً :

ـ " إنه يقول لك يعني كم من النقود تكسب في اليوم كأجره لقاء عملك اليومي ؟؟

ـ ليس هناك مبلغ محدد يدفع لي ، فما يدفع لي يكون حسب طبيعة ونوع العمل وكذلك مدته الزمنيه وما يتطلبه من جهد ومعرفه وخبره .. وكما أخبرتكم في البدايه فأنا أحياناً لاأعمل وأحياناً أبقي مُنتظراً لساعات طويله حتي أجد عملاً ، وزي ما بيقول المثل العربي عندنا " يوم عسل ويوم بصل "

أكمل نفس المحقق سؤاله قائلاً :

- وبعد إنتهائك من العمل ماذا تفعل بالساعات المتبقيه من اليوم ؟؟

- بعد عودتي من العمل للبيت أخرج للنادي لممارسة بعض الهوايـات الرياضيه ، وأحياناً أذهب إلي شاطيء البحر أو للسينما وفي غالب الأحيان أبقي في البيت لأقرأ إن كان لديّ كتاب .

- ولكن ماهو موقفك لو طلب منك أحد أصدقائك أن يضع بعض الأشياء كأمانات له عندك ؟؟

- إن ذلك لم يحصل وإن حصل فأنا لا أقبل أية أمانه توضع عندي ولو لساعة واحده .

بعد سماعه لردي هذا بدأ علي وجهه الآن الجديه في الحديث ، فقال بلهجه تنم عن معرفه سابقه ..

- و ما هو موقفك لو عرض عليـك أحد أصـدقائك أن ينظمك لأحـد التنظيمات ؟؟

- لم يسبق أن عرض عليّ أحد ذلك ، فأنا لا أحب التحدث في الأمور السياسيه وأصدقائي يعرفون عني ذلك .

- ولكن صديقك سعيد يقول أنه نظمك ودربك علي كيفية إعداد وتجهيز العبوات الناسفه ، كما سلمك كراس تحريضي ممنوع ؟؟

- كلا .. إن هذا إدعاء غير صحيح ، وأنا مستعد لمواجهة سعيد وجهاً لوجه .

عند ذلك غيّر سؤاله قائلاً :

- وأين كنت يوم الإثنين عندما إنفجرت إحدي العبوات الناسفه في مدينة "يافا" ؟؟

- حتي تعرف بأنني صادق في كل ما قُلته أمامك ،فإنني لا أريد أن أخفي عنك القول بأننـــي كنـت قــد إعتقلـت علي ذمـة التـحقيـق في نفس اليوم علـي أثـر هـذا

الحادث ، فقد تصادف أن كنت أقف في مكان قريب من موقع الإنفجار ، حيث كنت بإنتظار عمل كعادتي في كل يوم.. لقد سمعت صوت الإنفجار لكنني لم أكن أعرف أنه ناتج عن إنفجار عبوه ناسفه ، وعندما حضرت الشرطه إلي الموقع وجدت نفسي رهن الحجز والإعتقال . ولم أكن وحدي المعتقل فالكثير من العمال العرب الذين كانوا يتواجدون بالقرب من مكان الإنفجار إعتقلوا هُم الأخرين معي ، ونقلت وإياهم إلي أحد مراكز الشرطه في المدينه ، وبعد التدقيق في فحص بطاقاتنا الشخصيه وكذلك فحص الأكف ببعض المواد والمحاليل الكيماويه تم إخلاء سبيلنا جميعاً بعد أن مضي علي إحتجازنا عدة ساعات .

وهنا و في هذه اللحظه وجه سؤاله قائلاً :

- ولكن ألم تكن أنت الذي قمت بوضع العبوه ؟؟

- كلا .. إنني لو كنت أقوم بمثل هذه الأعمال لما كنت أحتاج إلي الذهاب للعمل ، لإنني عند ذلك لن أكون بحاجه إلي المال .

- طيب ما رأيك أن تعمل معنا وتقوم بمساعدتنا ونحن سنعمل علي مساعدتك وتقديم التسهيلات الحياتيه لك ، وحتي لا نجعلك عرضه للكشف فلن نطلب منك أشياءكثيره ، وفقط سنطلب منك إبلاغنا بأسماء من تشعر أن لديهم حس وطني ، وأيضاً مراقبة من تشك بأن لهم نشاطات مشبوهه ومعاديه لنا ؟؟.وهنا وعند هذا القول أصابتني السخونه ، فشعرت أن العرق بلل ملابسي ، فأجبته علي الفور قائلاً وبصوت عالٍ :

- " إنني أرفض طرح هذا الطلب عليّ " فأنا إنسان عادي ومسالم مُحب للسلام ولا أقبل علي نفسي خيانة شعبي،فمثلما ترفض أنت خيانة شعبك لو طلب منك

المساعده لطرف معادي ،فأنا بدوري أرفـض ذلك أيضـاً لأن ضميري لا زال حيّـاً .

هنا وعند هذا الحد بدأ علي وجهه التجهم ، فتغيرت ملامح وجهه كما تقلصت قسمات جبينه وتقطب حاجباه من الغضب الذي سيطر عليه ، وبخطف البصر شاهدته ينهض عن الكرسي واقفاً علي قدميه ومتوجهاً نحو باب الغرفه حيث فتحه بإنفعال .. وما هي إلاّ لحظات حتي أحضر أحد الحراس العاملين في خدمته ، فطلب منه بلهجة أمره إخراجي من الغرفه .. فدلفت خلف السجان لأجد نفسي أسيراً داخل أحد الدهاليز الضيقه والمتصل بعدد من الدرجات الحجريه المرصوصه بإتجاه ملتوي ، تؤدي في نهايتها إلي غرفه صغيره منعزله عن باقي الغرف ..وما أن فتح باب الغرفه حتي لمحت أربع رؤوس آدميه تقفز من مكانها عندما شاهدتني حيث كان أصحابها يجلسون بترقب .. وما أن وطئت قدماي أرض الغرفه حتي تحولقوا حولي مُعلنين للشاويش عن رفضهم لقبول إدخال أي سجين إلي غرفتهم ، حيث توجه أحدهم للشرطي قائلاً :

ـ " أنكم تعملون دائماً علي إدخال الجواسيس والمدسوسين وتريدون إختراقنا لمعرفة ما يدور بيننا ، ونعلمك أنه إذا تم إدخاله إلي طرفنا فلسنا مسؤولين عن ما قد يحصل له"وما أن سمعت حديثه هذا حتي قاطعته قائلاً له : " بأنني لست عميلاً كما كما يعتقد " قلت ذلك أمامه لكسب الطمأنينه منه ولزرع السكينه علي قلبي ، وما أن إنتهيت من توضيحي هذاحتي نظروا إليّ بإبتسامه مُصطنعه إندفعوا بعدها نحوي لتقبيلي والترحيب بي مُعتذرين عما بدر منهم تجاهي ..وأعلنوا عن قبولهم لي ، فإستدار الشاويش بعد أن أغلق الباب خلفنا .

جلست وإياهم سوّياً وتعارفنا علي بعضنا البعض ، فسألوني عن إسمي

وعائلتي ومكان سكني ؟؟ وما أن أجبتهم علي أسئلتهم هذه حتي بدأوا في إظهار وطنيتهم أمامي .. ونظراً لكوني كنت مُتعباً ولا أملك القدره علي الكلام من جراء التحقيق الذي أجريّ معي ومن جراء السهر أيضاً ، فقد طلبت منهم السماح لي بالراحه والنوم حيث كان الليل قد بدأ في إرخاء سدول ظلامه .. وما هي إلاّ لحظات حتي كانوا قد أعدوا لي فراشاً للنوم ، فتركتهم وإنصرفت لإستيقظ في صبيحة اليوم التالي .

إستيقظت من فراشي في حوالي الساعه التاسعه صباحاً ، وإستيقظوا هم بعدي فراداً وتباعاً ، فغسلوا وجوههم وأعدوا فطوراً وجهزوا شاياً فتناولته وإياهم سوياً ، وما ان فرغوا من تناول فطورهم عادوا إلي إثارة المشاحنات مع السجان المكلف بحراستهم ومراقبتهم ، فأخذوا يتلفظون ألفاظاً نابيه ضده ، كما هتفوا بالأناشيد الثوريه والحماسيه ، وكل ذلك بهدف إظهار وطنيتهم ولخلق إنطباع عندي عن شجاعتهم ونقاءهم الأمني حتي أثق بهم وبوطنيتهم؟! وما أن فرغوا من مشاكلتهم للشرطي حتي خاطبني " أبو نضال " الذي سبق أن عرفني بنفسه قائلاً :

- " هل تعرف ياجهاد لماذا وضعتنا إدارة السجن هنا ؟؟

في هذا الوقت شعرت بإنقباض صدري وتسارع نبضات قلبي مع حصول ما يشبه الوخز داخله مما زاد من شكوكي نحوهم ، وخشيت من أن يكونوا عملاء مصايد يعملون في خدمة رجال التحقيق للإيقاع بالسجناء الجدد، فأجبته علي الفور بالنفي .. فتدخل زميله قائلاً :

- " إننا موجودين في هذه الغرفه كعقاب لنا من قبل إدارة السجن،فهي تتهمنا

بتحريض السجناء وإجراء تحقيقات أمنيه مع بعض المتعاونين معها من السجناء ولهذا فقد لجأت إلي عزلنا عن باقي السجناء ومن ثم حرماننا من بعض الحقوق المقرره للسجناء كعقاب لنا . وقبل أن ينهي حديثه أشار إلي زميله " أبا نضال " مُعرّفاً إياه قائلاً :

- إن أبا نضال هو عضو لجنه مركزيه لتنظيم فتح داخل السجن ، و قد قام مؤخراً بتشفير أحد العملاء هناك ، وهو محكوم عليه بالسجن المؤبد خمس مرات .

نسيت أن أقول بأنه في لحظة دخولي غرفتهم كان قد حصل حادث داخل السجن حيث قام أحد السجناء في الأقسام المجاوره بالإعتداء علي أحد السجانين مما أدي إلي إستنفار طاقم شرطة السجن وتسلحها بالهروات وقنابل ومدافع الغاز الخانق والمسيل للدموع وذلك بعد أن رن جرس الإنذار إعلاناً للتأهب ، فإنطلقت حينها صفارات مدوّيه وقد عمد هؤلاء إلي إستغلال هذه الحادثه قي محاوله منهم لتأكيد إدعاءهم . فإقترب مني أحدهم كان لتوّه قد قام بإحضار رساله مكبسله ومُجلتنه إدعي بأنها وصلت لطرفهم الأن وهي مُرسله من قبل اللجنه المركزيه للتنظيم داخل السجن ، وأخذ يقرأها علي مسامعهم بعد أن طلب مني الإستماع للرساله .. كانت الرساله تتضمن إطلاعهم علي الحدث الذي حصل بالأمس مع وضعهم أيضاً في صورة آخر التطورات التي حصلت بطرفهم مع بعض الإستفسارات الأخري المتعلقه بقضيتي .. وفيما يتعلق بقضيتي فقد طلبت الرساله منهم معلومات مفصله عني وعن سبب إعتقالي لإنهم علموا - كما يقولون - عن إعتقالي ودخولي إلي طرفهم . وما أن فرغ من قراءة الرساله حتي تجمعوا حولي مرةً ثانيه وطلبوا مني الجلوس للتحدث معي حول قضيتي وسبب وظروف إعتقالي

مع كتابة تقرير خطي بما حصل معي ، ولتبديد أي خوف قد يعتريني أشار أبو نضال إلي فمه وقال :

- "في حالة مداهمة السجانين للغرفه فإنني سأقوم بإبتلاع الورقه التي ستكتبها " ؟!.

لم أرفض التجاوب معهم حتي لا يشتبهوا بأنني إستطعت معرفتهم وتحديد شخصيتهم ، إلاّ أنني في ردي علي أسئلتهم كنت حذراً ، فكنت أجيب بالنفي وعدم المعرفه علي كل سؤال يحتوي في طياته أي تهمه ، وفقط إقتصرت إجاباتي علي الأسئله العاديه وذات الطابع الإجتماعي مع الإنتباه لأي تناقض بين أقوالي عندهم وبين ما أدليت به عند رجال التحقيق .

- سألني أبو نضال مرةً أخري عن معرفتي بأحد الأشخاص المطلوبين لجهاز الأمن حيث سبق أن إلتقيت به في أحد الأماكن ؟؟

- نعم ... أجبته بأنني أعرفه كشخص عادي وتربطني به علاقه إجتماعيه كباقي الأشخاص وأعرف بأنه مطلوب للمخابرات .

إزداد غيظهم وحنقهم نظراً لشعورهم بتحفظي في التجاوب معهم ، ولهذا فقد لازم توجيه أسئلتهم لي بعض الضربات ركزت من الخلف صوب رأسي ، مدعين عند ذلك بأنني لست فدائياً واكذب عليهم ؟! .

كما صرخ أحدهم في وجهي قائلاً :

" إنك عميل وجئت لتتجسس علينا .. لماذا تخفي عنا كل شيىء .. هل تعتقد أننا عملاء .. إننا لدينا إتصال مع القياده في الخارج وهي زودتنا بأسماء جميع المجموعات العامله في الأرض المحتله ، وكذلك لدينا كشوفات بأسماء جميع العملاء ؟!

قاطعت كلامه وحاولت التوضيح لهم بأنني لست عميلاً ولا أشك بهم بل

أعتبرهم مناضلين أبطال ولكنني لا يمكن أن أعترف علي شييء لم أفعله ، لأنه من غير المعقول بأن أدعي عمل شييء لم أفعله ...

وعند سماعه لردي هذا هز رأسه متمتماً بشفتيه وإلتفت نحو زملاءه .. كنت قد سجلت لهم علي ورقه كل ما قلته أمامهم وما تحدثت معهم به ،وهو شييء جيد لي ، لأنه يشير لرجال التحقيق في حالة إطلاعهم عليه إلي برائتي .

صرخوا في وجهي مرةً أخري فإشتد الجدل بيني وبينهم ، وعند ذلك حاولوا الإعتداء عليّ ، فحصل عراك بيني وبينهم .. وبعد دفاعي عن نفسي حدثت جلجله وضجه حضر علي أثرها بعض حراس السجن مسرعين وإقتحموا الغرفه ليحجزوا بيننا ، وقبل أن يخرجوا من الغرفه سحبوا معهم "أبا نضال" حيث كان هو ومن معه قد تشاجروا مع الحراس وشتموهم عند إقتحامهم للغرفه .. وعند إخراجه أخذ يصرخ ويعربد متوعداً ليظهر لي بأنه يتعرض للضرب .. ولم يطل صراخه كثيراً فهو لم يُخْرَجْ ليُضرب _ بل كعادته مع كل ضحاياه - لُيسلّم رجال التحقيق التقارير التي يكون قد حصل عليها .. وبعد أن سلمهم الورقه التي كتبتها ، أعطاهم إنطباعه نحوّي ..ثم أعاده السجانون إلي الغرفه و مرةً أخري أخذ يتوعد مُهدداً إياهم بأنه سينتقم مني ومحذراً في نفس الوقت بالأعتداء علي حراس السجن إذا لم ينقلوني من عندهم .

ولم أمكث عندهم طويلاً ، فقد قام حراس السجن بإخراجي إلي زنزانه صغيره مجاوره لغرفتهم ، حيث مكث فيها يوماً كاملاً أمضيته نائماً قبل أن يطلبني أحد محققي رجال المخابرات ليوجه لي بعض إستفسارات تتعلق ببعض الأسئله التي أجبت عليها عند العملاء الأربعه الذين سبــق وأن إستجوبوني .. فأكدت له علي ما

قلته أمامهم .. وبعد أن إنتهي من إستجوابي وقبل أن يأمر بإعادتي إلي زنزانتي ، عمد بشكلٍ مُبطن إلي معرفة إن كنت أعرف بعمالة السجناء الأربعه الذين وضعني عندهم ، أم أنني بريئاً بالفعل ؟؟ ولمالمس الحقيقه أمر بإعادتي إلي زنزانتي ، لأجد هناك بأنهم قد وضعوا فيها سجيناً جديداً ليشاركني السكن ، ولم أرتاح له كثيراً ، فقد كان يخرج من الزنزانه كثيراً مُستدعّياً من قبل رجال التحقيق ، ولهذا إقتصر حديثي معه علي كلمات قليله ، حيث كنت أدعي له بالإرهاق والتعب عندما يحاول التحدث معي ...

ولم يطل بقائي في هذا المكان طويلاً .. فما هي إلاّ أيام قليله حتي حضر إلي الزنزانه أحد السجانين وبيده ورقه قرأ ما بها قائلاً :

" محمد صابر " شحرور .. فجري الدم في وجهي .

معتقـل عسقــلان
1988/9/11

لقمـــــة العيش

سعدون هو الإبن البِكر لعلي الأعرج القصير القامه والذي يسكُن في أحد مُخيمات اللاجئين المتناثره في منطقة قطاع غزه . وسعدون هذا لم يتجاوز الربيع الثامن من عمره ، وطوال أعوامه الثمانيه لم يرَ يوماً سعيداً في حياته ، وهذا ما أزعجه كثيراً ، فوالده فقير الحال ..عليل الصحه وبالكاد يستطيع توفير لقمة العيش لعياله الصغار الكثيري الأنفار ، فهو يعمل مُصلّحاً للأحذيه ، كما أن عمله كإسكافياً كان مُتقطّعاً ولا يدر عليه إلاّ القليل من المال ، ومع قلة عمله وتفكيره المستمر بأحوال عياله إزدادت صحته تدهوراً ، حيث بدأت الألام تَنخر في جسده الهزيل لتستقر داخله علي شكل أمراض مزمنه تحتاج إلي علاج وتكاليف باهظة لشفائها ، وهذا ما زاد من حالة البؤس والحزن في البيت ، الذي إنعكس ظله وظهرت أثاره علي زوجته وأولاده ..،وفوق هذا وذاك كان سوء الطالع يلازمه بإستمرار كأنه ظلٌ له ، فما من أحدٍ يساعده ، وأولاده لا زالوا صغاراً ، أو كما يقولون لا زالوا قطع لحم ، وهم بحاجه إلي من يوفر لهم لقمة العيش ومن هنا فلم تكن طفولة سعدون سوي شقاء ومعاناه وألم، فوضع والده المادي صعب ، وكان عليه أن يتعب ويشقي كتعب وشقاء والده المكدود المهموم ، وهذا ما كان يؤرقه كثيراً ويؤثر فيه سلبياً .، ولكن بالرغم من كل هذا فقد كان متفوقاً في مدرسته ، وبوضعه هذا فهو يريد أن يجد نفسه كأصدقائه وأترابه من الأطفال علي الأقل .. يريد أن يأكل مثلهم ويلبس مثلهم ، ويذهب إلي المدرسه بالملابس الجميله

التي يرتديها من هم في سنه من أقرانه وخاصه في مواسم إفتتاح الأعوام الدراسيه ، وذلك بدلاً من الملابس والخرق الباليه التي كانت تصنع له من بقايا ملابس أبيه أو من الملابس التي تمن عليهم بها كل عام وكالة الغوث الدوليه للاجئين الفلسطينيين . فكم يكون الطفل سعيداً جداً عندما يجد نفسه مع بداية إفتتاح العام الدراسي وهو يرتدي أحلي وأجدد الملابس المزركشه ومُنتعلاً حذاءاً جديداً ، وحاملاً خلف ظهره حقيبه مدرسيه جديده مصنوعه من الجلود . وسعدون إبن علي الأعرج بطبعه يشتاق ويتوق لتحقيق كل ذلك ، ولكن ما باليد حيله،فالعين بصيره واليد قصيره ، فهو طوال يومه يسير في الحاره حافي القدمين ، ويذهب إلي المدرسه بالملابس الممزقه والمرقوعة ، حيث لا يخلو له قميص أو بنطلون من رقعه كبيرة الحجم تنغص راحته وتكرب عليه نفسه . فكم من مره طلب من والده أن يشتري له بنطلوناً جديداً دون رؤتيه تحقيق حلمه هذا ، وذلك بسبب فقر والده وعجزه عن القدره علي توفير المبلغ اللازم لهذا الغرض . وبسبب صغر سن سعدون وبساطة تفكيره،فقد كان من جانبه يخجل من رؤية أصدقائه لملابسه تلك ، وهذا ما كان يدفعه للإعتزال بنفسه والإبتعاد عن اللعب أو الجلوس مع زملائه في الحاره والمدرسه لئلا يحرجه أحداً منهم بكلمه أو رمقه عين ساخره تغيضه، ففقره وملابسه الممزقه جعلانه يشعر دائماً بأن نظرات أقرانه من الأولاد تتوجه إليه ساهمةً كشييء غريب يتجمهر نحوّه الأولاد ، وهذا ما كان يقتله في صميم نفسه ، فأصبحت المدرسه في نظره بعبعا مُخيفا بالرغم من نجابته وتفوّقه في دروسه ، ولكن قاتل الله الفقر ما ألعنه ، فوالده يعمل من شروق الشمس إلي مغربها دون أن يستطيع جمع سوي بعض النقود القليله في أحسن الأحوال ،وغالب أيامه

كان يعود من عمله خالي الوفاض . ولإدراك سعدون لوضع والده الصعب ،لم يثقل كاهله بالأعباء ، ولم يرضَ أن يطلب منه شيئاً لشرائه له ، وبدلاً من ذلك أخذ يفكر بالعمل علي مساعدة والده بغرض توفير إحتياجاته المدرسيه بنفسه ، وذلك في فترة العطله المدرسيه الصيفيه ، وظل هذا الموضوع شغله الشاغل ، ولذلك فما أن إنتهي العام الدراسي حتي أخبر والدته برغبته في أن يبيع " أسكيمو" في شوارع وأزقة المخيم والمدينه ، حيث أن هذا العمل يتناسب مع قدرته وقواه . وبالرغم من معارضة والدته لطلبه هذا معللةً سبب رفضها بأنه لا زال صغيراً وعليه أن يهتم بدراسته ومدرسته أولاً وقبل كل شييء وعندما يكبر فإنه سيشتغل حتي يزهق الشغل ، إلاّ أنه أصر بإلحاح علي طلبه هذا وزاد من عزيمته وإصراره علي طلبه رؤيته لبعض الأولاد وهم يقومون ببيع "الأسكيمو" . وأمام إصراره هذالم تجد والدته مفراً من الرضوخ لرغبته ، ولم يكن هو بحاجه لأكثر من صندوق خشبي صغير الحجم وذو حماله جلديه ، مع تجهيزه بعدد من خرق القماش لإمتصاص حرارة الشمس من جوف الصندوق عند إنعكاسها علي هيكله الخارجي ، وذلك بغرض الحفاظ علي حبات "الأسكيمو" من الذوبان ، إضافةً إلي مبلغ صغير من الفلوس كرأسمال يشتري به حبات "الأسكيمو" ولم يجد صعوبه في صناعة صندوقه حيث جهزته له والدته من بقايا خشب البيت .

وفي صبيحة اليوم التالي إستيقظ مبكراً حيث لم يغمض له جفن ، فطوال ليلته وهو يفكر فيما سيفعله .. وكيف سيبيع .. وكم سيربح .. وكيف سيعود إلي البيت وهو سعيد ومنفرج الأسارير .. وأحلام وأمنيات كثيره هي التي فكر فيها ؟؟

فبعد أن غسل وجه أيقظ والدته لكي تعطيــه المبلغ المطلوب لشراء

"الأسكيمو"، وناولته والدته مبلغ نصف ليره إسرائيليه ولسانها ما إنفك يلهج بالدعاء والتوفيق له ، فحمل سعدون صندوقه خلف نطاقه ، بعد أن مسحت والدته علي جبنيه،وخرج من البيت يخطو من زقاق إلي آخر قاصداً محل بيع " الأسكيمو" الذي لم يكن ليبعد عن بيتهم لأكثر من مسافة كيلو مترين ، فإشتري بكل ما معه من مال عدداً من حبات "الأسكيمو" حيث لفها بقطع القماش ثم دسها في جوف الصندوق الذي أحكم إغلاقه ، وبعد أن تأبط الصندوق هرول مسرعاً يجوب الطرقات والشوارع - التي كانت لا زالت مُقفرةً من الناس في تلك اللحظات _ منادياً بأعلي صوته "أسكيمو ..أسكيمو" أسكيمو العروسه يا أسكيمو .. مانجه .. فراوله .. أناناس.. حليب بشيكولاته يا أسكيمو ..." وإستمر في النداء حتي صعدت الشمس في علو السماء فعبق الجو برائحة حرارة الصيف اللافحه ، وعندئذٍ خرج الأولاد والأطفال إلي الشوارع ، كما تجمهر الرجال أمام محطات الأتوبيسات للذهاب إلي أعمالهم ، وكان كلما زاد تجمهر الرجال والأطفال كلما نادي بأعلي صوته "أسكيمو.. أسكيمو ..أسكيمو .. أسكيمو العروسه يا أسكيمو .. مانجه .. فراوله .. أناناس .. حليب بشيكولاته يا أسكيمو ..." ولكن دون أن يجد من يشتري منه سوي إقتراب وتجمهر بعض الأطفال حوله بدافع الفضول والتسليه .

وأخذ الوقت يطوي بعضه فتقدمت الشمس في سقف السماء ، وكلما إرتفعت الشمس كلما زاد الجو إختناقاً ، ومع تصاعد حرارة الشمس أخذت حبات "الأسكيمو" بالتراخي والذوبان رويداً رويداً ، وكان كلما أخذت حبات "الأسكيمو" بالتراخي والتفكك كلما زاد ضيقه وتلهفه لبيع ما أمكنه بيعه ، ولهذا

فلم يترك مكاناً أو تجمعاً من الناس إلاّ وذهب إليه حتي خارت قواه وتعبت قدماه من كثرة السير ، كما إنبحت حنجرته من كثرة النداء والزعاق علي بضاعته . ومع حلول الظهيره لم يكن قد باع سوي ثلث الكميه التي بحوزته ، أما الكميه الباقيه فدابت كما يذوب الثلج في الماء ، وعند ذلك أسرع عائداً إلي المحل الذي إشتري منه حبات"الأسكيمو" حيث توسل إلي صاحب المحل لكي يضع له حبات الأسكيمو الذائبه لمدة ساعه في البراد ،وذلك حتي تتماسك وتتجمد بعض الشييء .وبعدأن تماسكت حبات"الأسكيمو" مره أخري،عبأها في صندوقه الصغير وركض مسرعاً في الشوارع والأزقه لعله يتوفق هذه المره في البيع ويجد من يشتري منه من الصبيان والأولاد ممن منحهم أباؤهم بعض القروش لشراء حاجيات لهم .

وإستمر في سيره لمدة ساعتين لم يترك خلالها شارعاً أو جادة في المدينه إلاّ ودخلهما ولكن دون أن يستطيع بيع شيئاً ، حتي ذابت حبات "الأسكيمو" معه مرة أخري .. فعاد أدراجه باكياً إلي صاحب المحل متوسلاً إليه بالسماح له بوضع حبات "الأسكيمو" داخل الثلاجه لتجميدها له للمره الأخيره عسي أن يفرجها الله عليه . وشفقةً بحاله التي كان يرثي لها وافق له صاحب المحل علي طلبه ووضع له الحبات الذائبه في الثلاجه، وما أن يبست بعض الشيء حتي ناوله إياها وهو يشير إليه بأن لا يكرر طلبه ، فأخذها سعدون منه شاكراً إياه .. وراح يجوب الشوارع والطرقات منادياً بأعلي صوته المبحوح "أسكيمو .. أسكيمو .. أسكيمو العروسه.. مانجه .. فراوله.. أناناس يا أسكيمو ..." دون أن يجد من يشتري منه حتي ولو حبه واحده علي الأقل .ولم ييأس فظل ينادي وينادي إلي أن إقتربت الشمس من منوّم غروبها ،وعند ذلك أراد تفقد حبات الأسكيمو التي أصبحت كسائل عصير

البندوره اللزج ، وكم كان حجم ألمه عندها حيث خشي من عاقبة الرجوع إلي البيت خالي الوفاض ..، فبحث عن مكان ليرتاح به ويتظلل بظله لهنيهةً من الوقت بعد أن أشبعته الشمس من لفح حرارتها الساخنه ، ولم يجد سوي الجلوس خلف جدار أحد المنازل ، فتمدد في الظل بعد أن وضع صندوقه الخشبي تحت رأسه وغطي وجهه بكفيه ثم أجهش بالبكاء الذي خظلت دموعه عينيه فسالت علي وجنتيه .

ولم يستغرق في نومه كثيراً ، فما هي إلاّ ساعةً من الوقت حتي إستفاق من نومه ، فمسح عينيه ووجنتيه بكمي قميصه البالي،ثم تحامل بجسده المكدود الهزيل علي قدميه المكدومتين ، عائداً بأدراجه إلي البيت خائباً متألماً حزيناً كشخص أضاع شيئاً ويخشي عاقبته .

وأمام باب المنزل وجد أخاه الصغير "سعد" حيث كان يلهو ويلعب مع بعض أصدقائه من الأطفال ، ولخوفه من عقاب والدته له علي فشله هذا ، فلم يشأ الدخول إلي البيت ، فنادي علي أخاه سعد وناوله الصندوق طالباً منه رميه في البيت دون أن ينبس له بكلمه أخري ، ثم ترك المكان بسرعه مُشمراً عن ساقيه للريح بإتجاه شاطيء البحر ، الذي لم يكن يبعد عن بيتهم كثيراً . وقد إنصاع سعد لطلبه حيث حمل الصندوق متأرجحاً إلي البيت ، وعند دخوله رأته والدته التي كانت تنتظر عودة سعدون بفارغ الصبر، فسألته عن أخاه سعدون وماذا حصل له؟ فأخبرها بأنه أعطاه الصندوق وهرب مُسرعاً . ولم يخبرها بأكثر من ذلك وخرج لإكمال لعبه ولهوّه مع أترابه من الأطفال ، وعند ذلك قامت والدته بفتح الصندوق لمعرفة ما حصل،وعلي الفور أدركت بأن سعدون لم يكن موفقاً في بيعه

وأن حبات "الأسكيمو" المتحلله والقابعه في أسفل الصندوق تؤكد لها علي ذلك ، فبكت لحزنها علي حالة إبنها سعدون . ولم تعطِ الوقت فرصه للضياع والنفاذ ، فعادت لتسأل إبنها " سعد " مره أخري عن الإتجاه الذي سلكه سعدون ولكن دون إجابه منه ، فأسرعت عند ذلك لتخبر " ناجي " عم سعدون بما حدث لسعدون ، وطلبت منه مساعدتها في البحث عنه لئلا يحصل له مكروه وقبل أن تستقر الشمس في مئزر غروبها ، ولم تشأ أن تخبر والده حتي لا تعكر عليه جوّه وبقية نهار يومه ، فيزداد سوءاً علي سوء .

وبدأ معاً وبمساعدة بعض أصدقاء سعدون - الذين علموا بالخبر - بالبحث عنه ، ففتشوا عنه في كل مكان إعتقدوا بإمكانية لجوءه إليه ، ولم يتركا زقاقاً أو ناحيه في المخيم إلاّ وطرقوهما بحثاً عن سعدون،سائلين الماره من الناس أو من يعرفه عنه ، ولكن دون أن يتوصلا إلي معرفة مكان إختبائه حتي أوشكت الشمس علي الهبوط خلف البحر ، حيث أخذ الظلام يستعد لإلباس السماء رويداً رويداً بحلتها الليليه ، وعندئذٍ أصابتهم الحيره من مكان وجود سعدون وإمكانية العثور عليه .. وبعد طول تفكير قرر عمه ناجي التوجه إلي ناحية شاطيء البحر كمحطه أخيره في عملية تفتيشه لعله يعثر له هناك علي أثر علي الأقل ، فسار في دربه عبر الزقاق المؤدي إلي البحر ، حيث أخذ يبحث عنه بين القوارب المرساه علي رمال الشاطيء،وكم كانت مفاجئته عندما شاهد سعدون وهو ممدداً بجانب أحد القوارب ، حيث كان قد أتعبه التفكير بما حصل معه،فنام علي ضربات نسيم الهواء البارد والمنطلق من سطح البحر..وحتي لا يربكه عمه عند إيقاظه" بسمل" أولاً ثم ربت بكفه علي كتفه هازاً إياه هزةً خفيفه ، فأيقظه من نومه وهو يتمتم

بشفَتيه " دستور .. بسم الله الرحمن الرحيم " فنهض سعدون علي أثر ذلك مذعوراً وحاول الهرب ، إلا أن يد عمه كانت أسرع منه ، فإحتضنه بخفه مع بعض كلمات الطمأنه ..، وبعد أن إطمأن سعدون لكلام عمه سار معه إلي البيت ، حيث وجد والدته في إنتظارهم وقد عادت لتوها من البحث عنه بعد أن أنهكها التعب ، وما أن رأته حتي إبتسمت له بعذوبه طردت عنه شبح الخوف من العقاب الذي

كان ينتظره ويخشاه ، ثم إحتضنته قائلةً له بلطف وحنان .." لا زلت ياولدي صغيراً ، ومازلت مُلحِقّاً علي العمل ، حيث عليك أن تهتم بدروسك أولاً وقبل كل شييء ولقمة عيشك علي الله يوفرها لنا أبيك " .

معتقــل نفحـــه
1989/7/12

الوفـــــاء

كم كان سعيداً ومُنعشاً ذاك اليوم الذي تقابلا فيه علي مقعد الدرس في الكليه حيث تعارفا ، ومنذ الوهله الأولي لهذا التعارف شعر سامي أن قلبه يختلج بين جوانحه مرفرفاً كالطائر الدبيح . فقد صادف في بداية العام الدراسي الجديد أن جلست وفاء مجاورةً له علي نفس المقعد،فبادلها التحيه المُفعمه بالحراره والإبتسامه العذبه .. ومنذ تلك اللحظه لم يتوقفا عن تبادل التحيه والأحاديث صباحاً .. مساءاً ومع كل محاضره . وتطورت علاقتهما إلي درجة تبادل المعرفه ومناقشته الدروس ، فقد أخذت وفاء تلجأ إلي سامي لسؤاله والإستيضاح منه إذا ما إستصعب عليها فهم محاضره أو موضوع مُعين ، وهذا ما إنعكس علي مشاعرهما وأحاسيسهما الداخليه ، فأحبا بعضهما حُباً عُذرياً عفيفاً صادقاً لم يقف أمامه تباين وضع كل منهما العائلي والإجتماعي ، حيث هو من أسره فقيرة الحال لا تملك شروي نقير ، أما هي فتنتمي لأسره ميسورة من العائلات الثريه في البلد .

وإستمرت علاقة كليهما علي ما هي عليه من حب وإحترام في إطار علاقة الزماله المدرسيه إلي أن أوشك العام الدراسي علي الإنتهاء ، فتقدما للإمتحان بقلبٍ مؤمن وواثق من النجاح بعد أن أعدا له جيداً ، فأهلهما ذلك للنجاح الذي سعدا به ، وتَوَجاه بعرض سامي لفكرة الزواج الذي إنتشت له ، حيث أرهفها السمع بإنتظار لحظة سماع فارس أحلامها وهو يطرح عليها هذا الموضوع،وإتفق معها أن يطلب يدها من والدها،علي أن تقوم هي بمصارحته بموضوع حبهما له

ورغبتها بالزواج منه ، فقد خامره الشك من إمكانية تصلب والدها ورفضه تزويجها له .

ولم يكن لسامي أية مشكله مع والديه عند عرضه عليهما رغبته بالزواج من صديقته في الكليه والتي عدد لهم مناقبها وحسناتها ، فكل ما كان يريده والداه هو سعادة إبنهم ووحيدهم بمن أحبها قلبه من الفتايات ، فلم تكن المشكله هي مشكلته ، بل مشكلة صديقته وفاء التي وجدت نفسها تقف أمام جبل من الرفض إحتاجت إلي طاقه كبيره من الإراده والعناد والإصرار لزحزحته ، فوالدها أراد لها أن تتزوج من إبن عمها " حسن " الذي يتمتع بوظيفه محترمه ودخل مادي ثابت وجيد ، عدا عن أن أخاه يرغب في أن تكون " وفاء " لإبنه وذلك حسب تقاليد العائله ، ولكن لاشييء يستطيع الوقوف أمام الحب الوجداني الصافي الذي تشحنه العاطفه بوقودها ، فلم ترض هي بديلاً لمن أحبه قلبها .

وبرغبتهما وإصرارهما وجدا نفسهما سوياً في الطريق إلي عُش الزوجيه المليييء بالسعاده ، فقد عاشا أحلي الأوقات وأسعدها في إنتظار هذا اليوم الذي لم يشأ القدر لهما تحقيقه ، حيث خطف منهما سعادتهما ، فقد إستيقظا في ليلة الزفاف علي مداهمة الجنود الصهاينه لبيتهما بهدف إعتقال سامي لإتهامه بمقاومة قوات الإحتلال الصهيوني البغيض ، وزجوا به السجن ، حيث حكم عليه من قبل إحدي المحاكم الصهيونيه لمدة عشرين عاماً . ولم يؤثر ذلك علي حبهما ، فقد ظلت هي علي وفائها ، متمسكةً بمن أحبته بالرغم من محاولات أهلها المتكرره بالضغط عليها لإقناعها بتركه والتخلي عنه ، فقد قال لها والدها يومها : " إتركيه يا وفاء .. فلا أمل به بعد اليوم ، لأنه لن يخرج من السجن أبداً "

ورفضت هي ذلك مُصره علي إحترامها للعهد ، حيث الأمل يحذو قلبها بأن إعتقال سامي لن يطول .

وفي السجن لم تنقطع عن زيارته حيث كانت تحمل له معها حبات اللوز والبندق والفستق وخصلات العنب التي كانت تقطفها له من شجرة الداليه التي كان قد غرسها في البيت ليتظللا معاً تحت ظل أوراقها في أوقات الصيف الحاره ، وكانت أيضاً تعمل علي رفع معنوياته . وكم كان هو ينتظر يوم زيارتها له حاسباً ليوم قدومها بالدقائق والساعات ، حيث كان يشعر ببطيء حركة الأيام فيظنها سنين ، فهي في نظره ولا كل الفتايات ، كما هو في نظرها ولا كل الشباب .

ومرت الأيام لتحمل معها المصيبه القاسيه للفتاه ، فقد أبي عزرائيل علي نفسه إلاّ أن يخطف منها هذه المره حبيبها خطفاً أبدّياً ، حيث حمل لها الناعي في أحد الأيام خبر إستشهاد خطيبها داخل السجن بعد إضراباً مفتوحاً عن الطعام إستمرت مدته ثلاثين يوماً خاضه ورفاقه وإخوانه ضد إدارة السجن بهدف تحسين أحوالهم المعيشيه والحياتيه داخل المعتقل ولرفع الظلم والمعاناه عنهم .. ووقع عليها هذا الخبر وقع الصاعقه ، فبكته بغزارة الدموع مُقسمةً أن تظل تعيش أجواء الحزن والحداد وفاءاً لذكراه وإخلاصاً للقضيه التي ضحي من أجلها ما بقيّت من الدهر .

معتقـل نفحـه

1989/7/16

الحذاء الأثري

هو من جيل عام 1982م وكان له من العمر ستة أعوام ونيّف من الشهور ، عندما تم الإعلان رسمياً من قبل صاحبة عن قرار إحالته علي الإستيداع .. جاء ذلك بعد صراع نفسي حاد تخلله نقاش وتوجيه وتبادل الإتهامات بينه وإصدقاء له حول وضع الحذاء المستقبلي ، فأصدقاؤه لا يريدون منه إنتقاله بعد الأن ، ومازالوا يصرون علي موقفهم الرافض لإستمراره في الخدمه لألف سبب وسبب ، وصاحبنا لا يستطيع التخلي عنه لإرتباطه العميق به ومعاصرته لظروف شتي ومصاحبته إياه لأجيال من المناضلين جاءوا وعبروا ، وصموده العجيب لأقسي ظروف البقاء ، وتحمل المشاق وعبء الحركات العنيفه لقدمي صاحبنا وأكثر ما كان يهدد بقاءه التمارين الرياضيه المرهقه .

كان قرار الإستغناء عن الحذاء " البوت " صعباً وقاسياً علي نفس أبوكمونه ، كان حزيناً لفراقه ، هذا الفراق الذي يتناقض تماماً مع السجيه التي إنطبعت عليها تصرفات وعادات أبو كمونه ، العادات المكتسبه تحت تأثير قسوة الحياه خلف الأسوار والمبنيه علي تنامي غريزة المحافظه والإنتفاع بالممتلكات إلي أقصي درجات الإنتفاع من خلال تجربه إعتقاليه فريده عايشها وأصحابه .

أبو كمونه بالطبع هو صاحب الحذاء ، وعاصر معه أوقات الشده وتحمل الكثير ، فوفر عليه المبالغ التي كان يتطلبها شراء آخر جديد، وعيّ وحافظ علي قدميه دون كللٍ أو تعب .. لقد فكر كثيراً وراجع نفسه مراراً قبل الإقدام علي إتخاذ القرار

الصعب بحق صديق دربه وحامي قدميه .

بعد معاناه شديده وصعوبه قاسيه إستطاع " أبو كمونه " إقتناء الحذاء الأثري مقايضةً بما إدخره من مشتريات كانت تصرف له .. وبعد أن إستطاع إدخار ثمن الحذاء كان بحاجه لوسيط ثالث ليتدخل في عملية المقايضه التي تمت مع طرفٍ آخر من المعتقلين .

ويوم أن إشتري حذاءه الرياضي هذا ، كان محظوظاً جداً ، فبالكاد في تلك الفتره أن تجد مُعتقلاً من زملائه ينتعل حذاءاً رياضياً جيداً ، فالأحذيه التي كانت متوفره بحوزتهم باليه ، وكل حذاء لو نظرت إليه لوجدته لا يخلو من عمليات الترقيع والتصليح ومواضع الضرب والتغريز ، ولا عجب من ذلك ، فإدخال أو شراء أي حذاء في ذلك الوقت لم يكن أمراً هيّناً نتيجة لسياسة فرض الخناق والتضييق التي كانت تنتهجها إدارة السجن بحق المعتقلين ، وطلب شراء أو جلب أي حذاءٍ كان يتطلب تقديم إلتماس لمدير السجن لكي يوافق علي ذلك ، ولكن هذا كان مُستحيلاً ؟!

أبو كمونه لم يكن كغيره من السجناء ، فهو يعرف كيف يحافظ علي حذائه خلال هذه السنوات الطويله التي عمرها حذائه .

لا تستغرب من هذه التسميه ، فهي إسمه حقاً ، وحيث دَرّجَ أصدقاؤه علي كنيته بهذا الإسم ، وهو ينطبق عليه في كل الأوصاف ، فهو لا يفرط بأي شييء مهما قلت أهميته دون حساب ، فحساب الربح قبل الخساره يجريه عند تقييمه لأي عمل أو موقف ، وقبل إقدامه علي إتخاذ أي قرار أو خطوه .. والتسميه لم تأتِ من فراغ ، فحبه لإقتناء الأشياء القديمه يُذّكره دائماً بذكريات الماضي، كما

أنه يعتبر كل هذه الأشياء القديمه بمثابة أثريات لها قيمه ويعمل علي تفحصها بإستمرار .. فحبه للأثار يرجع إلي أيام صباه ، يوم أن كان يذهب إلي البحر بعد طوفانه في فصل الشتاء لينقب ويبحث عن الأثار وما يُسمي" بالسحاتيت " وذلك بعد إنحسار المياه عن الشاطيء بعض الشييء عند هدوء البحر .

فحذاؤه لم يتخذ قراره النهائي بإيداعه إلاّ بعد شعوره بأنه لم يبق فيه مكاناً صالحاً إلاّ وغرزت فيه الخيطان أو ترك فيه ثُقب ، وبعد أن أدرك بأنه لا يوجد فائده ترجي من إصلاحه ، فحالة التمزق والإهتراء أصابت كل مكان في هذا الحذاء ، حتي أصبح مليئاً بالمئات من غرز الخياطه والعشرات من قطع القماش التي كان يُدعم بها تصفيح جوانب الحذاء لتقويته وزيادة صموده وخدمته ، فعمليات التدعيم والرفو تكاد تكون يوميه لأن صاحبنا تعوّد علي تفقد حذاءه بإستمرار ، وذلك بعد كل إنتقال لهذا الحذاء ليري ما أصابه من تلف وتمزق .. ومن كثرة ما خاط وغرز الإبره به إندملت أصابع كفة يده اليمني .

كان شكل الحذاء يشبه الجرافه المُجنزره عندما ينتعله وذلك بسبب ما تعرض له من ترقيع وتصفيح ، وهذا ما كان مثار سخرية وتهكم وتعليقات أصدقائه عليه ، وأدي بأن يعرض عليه بعضهم إعطاءه حذاءاً جديداً مقابل تخليه عن حذائه ، ولكنه رفض هذا العرض السخي لأن المسأله لا تتعلق بحداثة وجودة الحذاء،أو حتي فيما يتعلق بعدم قدرته علي شراء حذاء جديد .. بل لأن الأمر يتعلق بتمسكه به وبالقيمه المعنويه لهذا الحذاء في نظر أبو كمونه الذي يعتبر حذاءه كشييء أثري لا يقدر بثمن،حيث هو يعشق ويتمسك بكل شييء أثري وقديم .. وحرصه علي حذائه كان يدفعه إلي تفقده بإستمرار،ففي جميع تنقلاته من وإلي

السجون الأخري كان حريصاً علي أن يكون قد وضع حذاءه في حقيبته ، وقد حصل في إحدي المرات أن نسي هذا الحذاء في ساحة الرياضه بعد أن كان قد خلعه من قدميه ، وما أن تّذكره عند عودته للغرفه حتي عاد إليه مُسرعاً . فإهتمامه بهذا الحذاء كان يفوق إهتمامه بأغراضه الأخري .. كما أن تمسكه وإهتمامه بحذائه هذا كثيراً ما كان مثار حديث ونقاش أصدقائه في جلساتهم والذين كانوا يستغربون سبب تمسكه وتعلقه بهذا الحذاء القديم المُرقع المُبقع.

لم يكن أبو كمونه ليفكر قط بأنه سيتخلي في يوم من الأيام عن صديقه قبل إنتهاء مدة حكمه ، حيث أن ما حصل كان قسرياً ، فبعد شعوره بأن حذاءه هذا أصبح في حاله غير صالحاً معها للإنتعال إطلاقاً ، إضطر أسفاً لإتخاذ قراره الصعب بالتخلي عنه وعلي دون رغبه منه .

كان قرار الإستغناء والتخلي عن صديق دربه بمثابة يوم حداد وحزن مؤثر لديه ، فبكاه بدرفات الدموع ، ورثاه بكلمات التأبين الناعيه الحاره ، حيث شاركه في الوداع أصدقاءه ، ولتبقي ذكراه هي الباقيه والخالده في ذهن وقلب صاحبه المسكين أبو كمونه .. فأودعه قاع حاوية ملابسه و الأسي يعتصر قلبه علي هذا الإبتعاد المُكره وبعد أن لم يبق في جسد صديقه الممزق أي مكان إلاّ وأصابه شرخٌ وفتق لم يعد ينفع معه أي ترقيع أو تصليح .

معتقل عسقلان
1988/5/15

اقتلاع الجذور

لم يكن الأمر سهلاً ولا هيناً عليه أن يجد نفسه مكبلاً بالسلاسل ، وقد قذف به بعيداً عن أهله وشعبه وخارج حدود وطنه الذي نشأ وترعرع فوق ترابه وسهوله ووديانه ، وإنفطر علي حبه والوفاء له ، فرواه بعرقه ودمائه الطاهرة الزكيه التي طالما نزفت علي ثراه من كثرة إتخانه بالجراح الناتجه عن الضرب المبرح الذي ناله علي أيدي جنود العدو الصهيوني ودون سبب اللهم سوي حبه لهذا الوطن الذي طالما أخلص له كإخلاص الطيور لصغارها الفراخ ، وحبه كحب الأم لرضيعها ، لما لا وهو أرض أبائه وأجداده الذين تركوا أثراً لارتباطهم به علي كل بقعه وناحية منه ، وحيث جبلوا تراب أرضه بعرق جباهم ودمهم الذي طالما نزف وسال من أجسادهم .. كيف له إذاً أن يجد نفسه وقد طرد من بيته وديار وأبعد عن أهله وعائلته كما تُبعد صغار الطيور من أعشاشها ، وذلك دون وجه حق سوي ظلم الأعداء وبطشهم ، حيث في ظل الإحتلال كل شيء جائز ، وحيث تفقد الإنسانيه عند ذلك إنسانيتها وأخلاقها ، بعد أن تنعدم لديها القيم الأخلاقيه والمباديء الإنسانيه فيموت الضمير ويصبح المالك هو العبد المُذّل والمحتل الغازي هو السيد صاحب القرار ، فأي إنسانية هذه إذاً ؟؟!

فلقد شب جمال منذ نعومة أظفاره علي حب الوطن كحبه لنفسه وغرس هذا الحب في دم أبنائه ، فشب زيد عن طوق أبيه .. كما ترابط هذا الحب بحبه وتقديره لكل من كان يقاوم العدو، ولهذا فلا عجب أن يسمي أولاده بأسماء شهداء فلسطين

الذين ضحوا بدمائهم رخيصه في معركة النضال من أجل فلسطين الوطن والشعب ، وذلك تيّمناً لأبنائه بهولاء الشهداء الأبطال ، فسمي بأسماء الشيخ عز الدين القسام ، وأبو الحسن سلامه ، وعبد القادر الحسيني ، كما أصر علي تسمية أبنه الأخير بإسم خليل الوزير علي الرغم من رفض أجهزة العدو إستخراج شهادة ميلاد له ، إلا إذا أستبدل هذا الإسم بإسم آخر ، ولم يذعن لهم فبقي الإبن بدون شهادة ميلاد ؟!

أحب شعبه فأحبه الناس ، وكم كان يتألم لممارسات المحتلين الغاصبين لأرضه ، والذين ما جاءوا لإحتلال أرضه ووطنه إلا لاقتلاعه وأبناء شعبه من جذورهم لتفريغ الأرض منهم وهذا ما زاده حقداً علي الغزاه الصهاينه المحتلين الذين ما كفوا يسومون أبناء شعبه المستضعفين العذاب والهوان والقمع دون أي سبب إلاّ لهويتهم الفلسطينيه التي أصبحت تثير الخوف والرعب في نفوس الصهاينه الغزاة وكأنها حيوان كاسر يجب إتقاء شره وخطره ، مما زاد من حقد النفوس كرهاً لهذا المستعمر وممارساته ومقاومين وجوده بصدر أعزل إلا من الإيمان بالله وحتمية النصر الأكيد .

وكغيره من أبناء شعبه-في ظل الإنتفاضه-وجد جمال نفسه يقاوم سياسة العدو وممارساته بحس المسؤولية الملقاه علي عاتقه كفلسطيني وإبناً لهذا الشعب، مثيراً في أبناء شعبه روح الكفاح والتضحية من أجل العزه والكرامه في سبيل تحرير وطنه السليب ، وكان لا يدخر وسعاً من أجل ذلك،فمن التوعيه والتعبئه إلي جمع التبرعات وتوزيعها لدعم صمود أبناء شعبه في سبيل إستمرارية الإنتفاضه إلي غير ذلك من الأعمال الخيريه والتطوعيه ، حتي زج به من جراء ذلك خف القضبان

عدة مرات ، لوّحوا له خلالها بالطرد دون أن يكسروا من شوكة إرادته التي بقيت كقطعة حديد صلبه ، مما أثار غضب رجال إستخبارات العدو الذين رأوا أن لا سبيل لهم إلاّ إقتلاعه من جذوره كما تقلع الشوكه من الجسم عند إنغراسها به ، وتحت ذريعة أنه من قادة الإنتفاضه المحرضين للسكان علي الإحتلال ، وذلك كخيار أخير أمامهم .. فاستصدروا لذلك قراراً لم تطل مدة تنفيذه ، حيث أُمهل مدة إسبوع للإستئناف ضد قرار الطرد ، مع معرفتهم لنتيجة القرار مُسبقاً .. وبالرغم من عدم إيمانه بمحاكم العدو ، ومعرفته بصوريتها ونتيجة قراراتها مُسبقاً، قرر الإستئناف ضد القرار لكي يظهر للحكام زيفهم وزيف محاكمهم الباطله وعنصرية قرارتهم الجائره والقائمه علي أساس التمييز العنصري .

ومن هنا فإنه لم يفاجأ من تأكيد الحكام لقرار الطرد دون إظهارهم للأدله والبيانات الموجه ضده والتي إستند لها قرار الطرد ، وذلك تحت حجة السريه الزائفه لهذه المعلومات والبيانات والأدله من الناحيه الأمنيه ؟!

ولم يتأثر من تثبيت القرار لأنه توقع ذلك ، فإستعد لمواجهته بروح معنويه عاليه وأعصاب بارده منقطعتي النظير،حيث ما أن نطق الحكام تثبيت قرار الطرد ضده حتي صرخ في وجههم مجلجلاً أركان القاعه وعلي مرأي ومسمع من الجمهور قائلاً:

- إنني لم أعترف يوماً بمحاكمكم الصوريه هذه ، مثلما لم أعترف بإحتلالكم لأرضنا الفلسطينيه التي إغتصبتموها بسياسة الإرهاب ، فطردتم السكان العزل من بيوتهم ووطنهم تحت تهديد حرابكم وأسلحتكم الشيطانيه ، بمساعدة دول النفاق الإستعماريه الصليبيه وعلي رأسها بريطانيا العجوز الشمطاء وأمريكا الظالمه الطاغيه ، كما أنني أقول لكم وبصراحه بأنني لا أعترف بمفهومكم الأمني الزائف

والمرتكز علي الإرهاب والبطش والقتل والطرد وإفراغ الأرض ورسف الأغلال وتكميم الأفواه ، حتي أن أمنكم الزائف جعلكم تعيشون في خوف وهواجس من كل شيء فأصبحتم تدخلون موضوع الأمن في كل شيء حتي في مأكلكم ومشربكم وسفركم وإضطهادكم للشعب الفلسطيني ومصادرة حقوقه وثرواته وأرضه ، مفسرين سبب ذلك بأنه مقتضيات الأمن.. فأنتم تحاولون التنكيل بالإنسان الفلسطيني لخوفكم منه وتحت ستار الأمن .. حتي أن أمنكم المزعوم جعلكم تشتبهون بكل شيء وتخافون منه حتي الخرقه الملفوفه إذا شاهدتموها متروكه في مكان ما فإنكم تشتبهون بها وتخافون منها ، فأي أمن هذا الذي تدعونه ويجيز لكم طرد صاحب الأرض من أرضه ووطنه وإبعاده عن عائلته وأهله وشعبه ؟؟!

إن مزاعم الحفاظ علي أمتكم جعلكم تطردون الإنسان الفلسطيني كما يطرد الكلب الضال ، وتصادرون ما تبقي من أرضه كما تصادر البضائع والأشياء المهربه أو المسروقه من قبل الشرطه ... بينما تقومون بجلب من لاحق له بهذه الأرض من المهاجرين لزرعهم وتوطينهم بدلاً منا نحن أصحاب الأرض ؟!

فأين أنتم من الدين اليهودي الصحيح .. وأين أنتم من قوانين جنيف الخاصه بحماية السكان الخاضعين للإحتلال .. وأين العدل من سياسة العقوبات الجماعيه التي تفرضونها علي السكان ، وكذلك عمليات هدم البيوت وقتل الأطفال والشيوخ والنساء .. أخبروني أيها الحكام بربكم هل تقبلون علي أنفسكم أن يأتي أحد لإخراجكم من بيوتكم وطردكم منها لإبعادها عن أبنائكم وزوجاتكم وأهلكم دون وجه حق ؟!

تكلموا ... أخبروني ... هل إنعقدت ألسنتكم وإلتجمت عن الإجابه ... أم أنكم

تخافون من قول الحقيقه وتبتعدون عنها ؟؟

إن إبعادي عن أهلي وعائلتي وشعبي ووطني لن يفتت عزيمتي ولن يحطمني أو ينسيني مأساة شعبي كما قد تتوهمون .. فكل الشعب العربي والأمه الإسلاميه هم أهلي وعشيرتي ، والفلسطيني أينما كان سيبقي أخي ، ولن يثنيني قراركم الجبان عن مواصلة النضال من أجل شعبي المكافح وفي سبيل تحرير وطني .. خسيء تفكيركم إذا إعتقدتم بأنكم بعملية طردي خارج وطني ستطفئون جذوة الإنتفاضه .. فذلك محال .. فأنتم إن طردتم جسدي فلن تستطيعوا طرد أثري ، فهو باقٍ في كل فلسطين .. كما أنكم لن تستطيعوا القضاء علي شعبي مثلما تتوهمون ..

فالأم الفلسطينيه التي أنجبت أبا جهاد وعبد القادر الحسيني وأبا الحسن سلامه لن تعقم أبداً ، وستبقي شجرة الشعب الفلسطيني يانعه مثمره ، وسيظل جذرها عميقاً عمق الأرض ، وسيظل الفلسطيني رمزاً للحريه والتضحيه والكفاح والفداء ، وحتماً سأعود وكل المبعدين إلي أرضي وشعبي والعلم الفلسطيني يرفرف خفاقاً فوق مآذن وكنائس وريوابي وطني الحبيب ... فالفجر آتٍ .. آتٍ والنصر قريب إن شاء الله ، وما النصر إلا من عند الله .. عليه توكلت .. وإليه أنبت .

وما أن أطبق شفتيه علي أحرف كلماته الأخيره حتي علا القاعه صوت زغاريد النساء الفلسطينيات اللواتي تواجدن في قاعة المحكمه وهن يحملن أغصان الزعتر الخضراء النديه .. بينما أخذ جمال ينشد والنساء من خلفه .

نعم قد نموت ولكننا ... سنقتلع الموت من أرضنا .

معسكر الشاطيء
1991/4/17

الإخـــــلاص

لم ينسَ طلال ذاك اليوم .. يوم أن تعاهد وصديقه نعيم علي الإخوّه ، عندما كانا يعملان سوّياً في ورشة فلسطين لتصليح السيارات بمدينة غزة ، ففي ذلك الوقت أقسما أمام بعضهما البعض أن يظلا أوفياء مُخلصين لبعضهم البعض ماداما أحياء. فقد إلتقي طلال صديقه نعيم لأول مره في هذه الورشه ، حيث كان يبحث عن عمل يوفر له قوت يومه " وهناك " توطدت العلاقه بينهما ، وإرتاح فؤاد كلٌ منهما للأخر فأصبحا كظلٍ واحد ، يحكم عليهما كل من يعرفهما بأنهما جسدين بروح واحد ، فإذا ما شاهد الناس أحدهما بمفرده يتذكرون الأخر علي الفور .. كانا لا يتناولان طعامهما إثناء عملهما إلاّ سوياً ، وإن غادرا الورشه فلا يغادرانها إلاّ سوياً ، وإذا صادف أن غاب أحدهما عن العمل لسبب ما ، يظل الأخر قلقاً مضطرباً غير مرتاح البال طوال يوم عمله ، منتظراً بفارغ الصبر إنتهاء فترة العمل ليذهب إلي بيت صديقه لرؤيته والإطمئنان عليه ، وما أكثر ما حصل ذلك .، حتي عطلة نهاية الإسبوع كانا يقضيانها في غالب الأحيان معاً في أحد المنتزهات أو علي شاطيء البحر .

وشاءت الظروف في أحد الأيام أن يختلفا مع صاحب الورشه لسوء معاملته وتدني ما يدفعه لهما من أجرٍ ، ناهيك عن ظروف وشروط العمل القاسيه ، وعلي أثر ذلك قررا ترك الورشه والإنتقال للعمل في ورشه جديده تقع في شارع آخرمن المدينه ، يشهد بإستمرار حوادث إحتكاك وصدام مباشر بين المتظاهرين

وقطعان الجنود الصهاينه ، وهذا ما عكس نفسه علي مشاعرهما وإحساسهما الوطني ، فمن مكان عملهما هذا أصبحا يشاهدان يومياً ممارسات القمع الإرهابي وسياسة الضرب المُبرّح وتكسير العظام ومطاردة الجنود لشبان وأطفال الحجاره ، وإطلاق الرصاص وقنابل الغاز عليهم لقتلهم وقتل المتظاهرين والسكان العُزل معهم .. وعمليات مداهمة البيوت وإعتقال الناس وزجهم في المعتقلات .. فمنذ أن إشتعلت شرارة الإنتفاضه الشعبيه في الأرض المحتله تغيرت الظروف وأحس كل فرد من أبناء الشعب الفلسطيني بحجم المسؤليات المُلقاه علي عاتقه لطرد المحتل الصهيوني الغاصب ..فأحداث الإنتفاضه ومواجهات المتظاهرين مع جنود جيش الإحتلال تلتقطها كاميرات الصحفيين وتتناقلها وكالات الأنباء يومياً .. وكغيرهما وجدا أنفسهما ينخرطان في صفوف الإنتفاضه ليشاركان في المظاهرات وعمليات المواجه ، فأصابهما ما أصاب غيرهما من ضرب مُبّرح وإعتداءٍ وحشي زادهم صلابه وشراسه ورغبه في اللإنتقام .

وفي يومٍ ساخن من أيام الإنتفاضه وبينما كان " نعيم " يعمل بمفرده في الورشه - لعدم حضور طلال للعمل في هذا اليوم بسبب وعكه صحيه ألمت به - حصلت مواجهات وإشتباكات عنيفه مع قوات الجيش بالقرب من مكان عملهم ، وإستخدم أفراد الجيش الطلقات الناريه والقنابل الغازيه لتفريق المتظاهرين حيث إعتدوا علي بعضهم بالضرب المُبّرح وطاردوا البعض الأخر بالرصاص دون تمييز لأحد ، فأصابت بعض الرصاصات الجبانه جسد نعيم ورأسه ، حيث أخذ ينزف دماً .. ولخطورة الإصابه تم نقله إلي المستشفي علي وجه السرعه ، وأجريت له عمليه جراحيه سريعه لم تتكلل بالنجاح بسبب فداحة تأثير إحدي الرصاصات علي

الدماغ الذي إستقرت فيه ، مما أدي إلي إصابته بالشلل الدائم .

وما أن علم طلال بخبر الإصابه حتي هرع مُسرعاً إلي المستشفي للإطمئنان علي صحة صديقه .. وقد راعه ما شاهد نعيم عليه من شللٍ وهزال ، فتألم له أشد الألم .. وعمل جاهداً كل ما بوسعه للتخفيف عنه من وطأة الإصابه .. مُقسماً أمامه بأنه سينتقم مما حصل له مهما كلفه الثمن .. وبعد طوال تفكير طافت خلاله الأفكار في دماغه كطوفان نهرٍ في أيام الفيضان ، قرر أن يقوم بتنفيذ عمليه إنتقاميه ضد إحدي دوريات الجنود الراجله ، حيث أن ذلك أسهل وأضمن للنجاح وبعد أن خطط لهذه المهمه جيداً لم يطل موعد تنفيذها .. ففي صباح أحد الأيام إستيقظ من نومه مُبكراً ، وجهز نفسه بمديه حاده تمنطقها مخفّياً إياها في ثنايا ملابسه ، وخرج من البيت سائراً في طريقه نحو الهدف .. وما أن لمح مرور دوريه راجله تسير بالقرب من المكان الذي كمن فيه لتنفيذ عمليته حتي إستعد جيداً للحظه ، وإنتظر حتي تخطي آخر جندي من جنود الدوريه لنقطة إرتباط وتقاطع شارع عبورهم بتوصيله من الأزقه المتفرعه والمتشابكه والتي تشكل ساتر حمايه لتغطية عملية إنسحابه .. وبلمح البصر إستل طلال سكينته وإندفع مهاجماً هذا الجندي من الخلف ، مسدداً له عدة طعنات قاتله بادئاً إياها من الخلف لتستقر آخرها في مكمن قلبه مِسكتاً إياه إلي الأبد ، فسقط الجندي مُضرجاً بدماءه التي غطت جانباً من المكان ، وإختفي متوارياً عن الأنظار بسرعه البرق بعد أن إنسحب سالكاً طريق الأزقه والزواريب قبل أن يتمكن الجندي من إطلاق آهته الأخيره.

مُعتقـل نفحــه

1989/9/1

الثـــأر

" وين أبويه ياما " ؟؟

كان ذلك منذ إثني عشر عاماً حلت عندما سأل عامر لأول مره والدته عن أبيه فأخبرته بأنه يعمل مدرساً في الكويت .

كان عامر يوم ذاك لازال طفلاً صغيراً ، وكباقي الأطفال يملأه الشوق لمعرفة ورؤية والده ، فقد كان يسمع أقرانه من الأطفال يتفاخرون كثيراً بأبائهم ، أما هو فلم يكن يعرف عن والده شيئاً ،وهذا ما كان يزعجه أمام أصدقائه عندما يتحدثون عن أبائهم ، ولهذا أراد معرفة أي شيء عن أبيه الذي لم يراه أبداً ، فهو منذ ولادته لا يذكر بأن أحداً قال له "بابا" فكلما سأل أمه عن والده كانت تكتفي بطمأنته بأن أبوه موجود ويعمل مدرساً في الكويت ، ولسنه الصغير في ذلك الوقت إقتنع بكلام أمه دون أن يسأل أكثر من ذلك ، حتي شب عن الطوق وإمتلك المعرفه التي جعلته غير مصدق لكلام أمه نظراً لإنقطاع أية أخبار عن والده ، حيث إنتابته الشكوك حول صحة ما يقال له ، وتساءل أكثر من مره بينه وبين نفسه إذا ما كان حقاً والده يعمل في الكويت ، أم أن أمه تخفي عنه شيئاً لا تريد أن تقوله له ؟؟

وظل القلق والحيره يلجانه بإلحاح لمعرفة أو سماع أي شيء عن والده ، وكلما إنقضي زمن من عمره راودته الهواجس أكثر، لتزيد معها رغبته ولهفته في المعرفه،وبقيت الهموم والشكوك تسيطر عليه حتي إنبلج فجر ربيعه السادس عشر ودخل مرحلة المدرسه الثانويه وهو علي حاله وأمه علي حالها،كلما حاول

سؤالها عن والده تتهرب من إجابته علي سؤاله الإجابه الصحيحه حتي ألح عليها في أحد الأيام السؤال قائلاً :

- يامّه

- آه ... مالك يا عزيزي ؟؟

- ليش يامّه أبوي ما بيبعتش إلنا مكاتيب زي الناس ، فهو ولا مره أرسلنا رساله يطمئننا فيها علي أحواله ؟!

- الغايب يا إبني حجته معاه ، والله يجيب اللي فيه الخير ويديمها بالستر والسلامه ، فهو لما سافر ما قاليش سوي إنه رايح الكويت مع أصحابه لأنه لقي وظيفه هناك

- طيب ما قالكيش مين أصحابه اللي هو مسافر معاهم ؟؟؟

- ما قاليش ولا حاجه سوي أنه لما يصل الكويت سيطمئنا علي وصوله .

- وقديش صار له هالقيت في الكويت ؟؟

- ياطويل العمر والبال اللي ياسيدنا اللمنتي حالياً ستا عشر سنه .

- ولكن علي إيش يامّه سايبنا هو كل هالغيبه مش لازم يرسلنا حاجيات ونقود وملابس تذكرنا فيه كأب ؟؟؟!

- يمكن يا إبني مش موفق في عمله ، وما إلك أنت إلا أن تهتم بنفسك لّما الله سبحانه وتعالي يفتحها علينا .

- بس هو يا مّه أبوي وأنا يهمني معرفة أخباره ، وأتشوق لرؤيته حتي لّما يحكيلي واحد من أصحابي عن أبيه أقدر أحكيله أنا كمان عن أبي وأتباها فيه أمامه .

- مش أنت الوحيد إلي ما شافيش أبوه ، فكثير من الأولاد غيرك ما شافوش أبواتهم بسبب عملهم في بلاد برا ، وأصبر شــويه فإن شاء الله بيجي أبوك علي

هالصيفيه .

- ما هو الواحد يامّه يمكن يغيب عن البيت سنه أو سنتين وثلاثة ومابتنقطعش أخباره خلالها ، مش ستا عشر سنه مابيجيش ولا يشعر فيها بعياله ، فإذا كان هو مش مشتاق إلنا ، إحنا مشتاقين إله لأنه الإنسان كتلة من المشاعر والأحاسيس ، وعلي هيك بال الواحد بيظل قلقان علي الغايب .

- خاطري يا إبني أنه ما تقليقش نفسك كثير ، وفكر بنفسك ومدرستك ومستقبلك ، ووقتيش لّما تخلص تعليمك وتتخرج وتصير دكتور قد الدنيا حتي أفرح فيك .

- رأيك هيك يعني ؟؟؟

آه يا إبني.

زي ما بيدك، ولكن أنا مش راح أقدر أدرس زي الناس ، وأنا بالي مهموم وعقلي مشغول.

- لا .. بس إنت لّما تفكرش في هالموضوع حتدرس كويس .. والآن إذهب لغرفتك وروح ذاكر في كتبك ، وأنا هالقيت سأغليلك كأسة شاي تروق فيها دماغك.

- بدك الصحيح يامه أنا مش مقتنع بكلامك اللي قولتيلي إياه عن أبي ،وأنا حاسس أنه في هناك حاجه أنت مخبياها علي .

ولم ينتظر إجابة أمه حيث غادرإلي غرفته وهاجس من الشكوك ينتابه حول مصير والده ... وعلي منضدة المذاكره داخل غرفته جلس يقلب صفحات كتاب سحبه من رف مكتبته إلا أنه لم يجد لديه رغبه في القراءه ، فأعاد إغلاقه مره أخري حيث أخذ يفكر فيما قالته له والدته ، وشطح بتفكيره مقلباً الـ إحتمالات علي كافة

وجوهها وصورها حتي أتعبه التفكير ، وثقل رأسه بالهموم دون أن يصل إلي أية نتيجه ، فارتمي علي سريره مستغرقاً في سبات نومٍ عميق لم يستيقظ منه إلا مع إشراقة شمس اليوم التالي وعلي ربت يد والدته وهي تهزه برفق أمومي مذكرةً إياه بموعد المدرسه ، فتململ في فراشه فاركاً عينيه بأصابعه لإزالة ما بقي عالقاً من بقايا نوم داخلهما ، ثم نهض متجبداً ببطء ، نافضاً عن نفسه تعب الجسد وسهاد العينين ، وتفقد نفسه علي مرآه الصوان بعد أن غسل وجهه ، ليجد والدته قد جهزت له فطوره الذي إزدرده بسرعه ، ثم عبأ حقيبته المدرسيه بإحتياجاته اليوميه المدرسيه من الكتب والكراسات،وهرول خارجاً باتجاه المدرسه وفي غرفة الفصل لم يكن في هذا اليوم كما يجب أن يكون من النشاط والحيويه فمنذ لحظة بدء الدرس الأول بقي سارحاً بأفكاره ، منتظراً بفارغ الصبر موعد فترة النزهة اليوميه التي تتخلل الدروس لإعطاء الطلاب قسطاً من الراحه لقضاء الحاجه ...وبينما أخذ الطلاب يتجمهرون في الباحه علي شكل مجموعات صغيرة العدد ، إنزوي بنفسه إلي ركن جانبي شارد الذهن ، زائغ النظرات ، حتي أتعبه الجلوس فنهض من مكانه سائراً بضع خطوات ليجد نفسه وقد إندس في إحدي المجموعات التي كان يدور داخلها نقاش ، وذلك بعد أن نادي عليه أحد زملائه ... ولم يجد لديه رغبه للإنخراط في النقاش ، فبقي منصتاً ساهماً بنظره ،ملتفتاً مره إلي اليمين وأخري نحو اليسار،حيث تحولق علي يساره عدد من الطلبه،بينما علي غير بعيد منهم كان يجلس علي أحد المقاعد الملاصقه لجدار الباحه صديقاه فايز وعاطف ، وقد أخذ يتهامسان ويقلبان أوراق صحيفه كانت بحوزتهما ، وبينما هما كذلك وقعت عين فايز علي خبر منشور في الجريده يتعلق بجريمة قتل علي خلفية نزاع

حول قطعة أرض ، فلفت هذا الخبر إنتباهه ، وأخذ يقرأه بصوت عالٍ لصديقه عاطف ، وما أن فرغ من قراءة الخبر حتي عقب عاطف قائلاً :

- إلي متي يا فايز ستبقي مثل هذه الحوادث المؤسفه تتكر في مجتمعنا ، حيث الأبرياء هم وقودها وضحاياها دائماً ؟!

- هذه مشكلتنا ياعاطف ومثل هذه الحوادث لن تنتهي دون القضاء علي الجهل والتخلف الممزوج بالتقاليد والعادات الباليه التي لازالت تسيطر علي عقول بعض الناس من أبناء شعبنا.

عند ذلك فرك عاطف كفيه ببعضهما حيث سيطر عليه الحزن ، ثم قال بتأثر:

- حقاً يافايز.. إن سبب هذه الحوادث هو الجهل بعينه.. وهذا ما أكدته الوقائع والأحداث.. وإذا كنا نحن لازلنا لم نستطع التخلص من هذه العادات .. فإن المجتمعات المتحضره إستطاعت إجتثات هذه الظواهر من خلال مواصلة عملية التوعيه ورسم العلاج الصحيح .

- بإعتقادك يعني هي هذه الأسباب ؟؟

- نعم يا فايز وكمان وجود الإحتلال وغياب السلطه الوطنيه يساعد عل ذلك ، لأن الإحتلال الصهيوني يسعي دائماً لخلق المشاكل لإشغال الناس فيها ، ومن ثم إلهاءهم عن مسألة مواجهته ومقاومة وجوده .

- صحيح ما تقوله ياعاطف ، ولكن ألا تلاحظ بأن حصول مثل هذه الحوادث المؤسفه قد تقلص عندنا اليوم مقارنة بما كان يحصل قبل إثني عشر عاماً ، ففي ذلك الوقت لم يكن يسلم من هذه النزاعات حتي الأخوه أنفسهم ، ولكن الجيل الجديد يختلف عن الجيل القديم ،فقد حدثني والدي في أحدي الأمسيات - وهو يقص

عليّ بعضاً من الحوادث التي حصلت عندنا في المنطقه ـ كيف قام " أبو شفيق البحري " عم زميلنا " عامر " بقتل أخاه " أبو عامر " بعد أن إختلفا علي ملكية قطعة أرض من تركة أبوهم ، فيومها ياعاطف كانت الجريمه ـ كما ذكر لي والدي ـ من الفظاعه بحيث أدت إلي إشمئزاز كل أهل الحاره ، وقامت الشرطه بإعتقال" أبو شفيق " حيث أمضي في السجن عدة سنوات ، ولم ‘يفرج عنه إلاّ بعد تدخل بعض الوجهاء والوسطاء والأقارب في الموضوع .

طوال هذا الحديث كان عامر يسترق السمع إليهم ، حيث ما أن ذكر فايز إسم عمه " أبو شفيق " علي لسانه حتي تنبهت حواسه وأخذ ينصت إلي كل ما يقوله ..

وما أن إتضحت له قضية والده وعرف قصة مقتله ، حتي سيطر عليه الإنفعال ، فأربد وجهه وتجهم ولم يستطع تحمل البقاء في مكانه ، فإستأذن زملاءه الإنصراف ، وغادر المدرسه ‘مسرعاً عائداً الي البيت .

وكعادة والدته إستقبلته بإهتمام ، إلاّ أنها إستغربت رجوعه المبكر من المدرسه علي غير عادته ، ولم تسأله عن سبب ذلك ، حيث لاحظت عليه الإنفعال ، وقرأت في صفيحة وجهه بعض علامات القلق والإضطراب الممزوج بالغضب ، فتساءلت في خلدها إذا ما كان هناك سبباً لهذه العوده ؟؟ ولكنها مره أخري ألزمت نفسها الصمت ، فبقيت حيري حتي قررت في النهايه أن تضع حداً لهذا الصمت ، فسألته عن أحواله ودروسه وإذا ما كان هناك شيئاً يضايقه أو ألماً يشعر به ؟؟ . إلا أنه لم يجبها علي سؤالها ، بل سألها بصوتٍ مشحون بالتوتر عن والده ومكان وجوده ؟؟ .

بدا لها سؤاله غير طبيعي وشعرت بأن خلفه يكمن شيئاً ما يخفيه صدره ، فأصابها التوتر والحرّج ، فكم هي أخفت عنه حقيقه طال أمدها دون جدوي ، وبصوتٍ متهدج أصابه الضعف والوهن ، وبعد أن تمالكت نفسها أجابت بدورها متسائلةً :

ـ كم أنت ياإبني تسأل كثيراً عن والدك ، وكأنك غير مصدقاً لكلامي لك ؟؟!ـ لا ياأمه سلامة قيمتك ، فقط أردت الإطمئنان من وسوسة الشيطان ، ولأني سمعت اليوم إثنين من زملائي في المدرسه يتحدثون فيما بينهم بأن عمي " أبو شفيق"

ولم يكمل كلامه حيث قاطعته أمه ، فبمجرد أن لفظ عامر إسم عمه علي لسانه ، حتي صعدت الحراره في رأسها الذي أصبح كمرجل بخار يكاد ينفجر من شدة ضغط الغليان .. وإستطردت حديثه متسائله مره أخري قائله :

ـ آه .. إيش كنت بدك تحكي عن عمك أبو شفيق ؟؟.

ـ سمعت صاحبي فايز بيقول لأحد أصدقائه بأن عمي أبو شفيق إختلف مع أبي حول ملكية قطعت أرض من ميراث جدي وقتله علي أثر ذلك ؟!

ـ ومين فايز هذا إللي إنت بتحكي عنه ؟؟

ـ إبن المختار الحاج إسماعيل .

ـ وإيش عرّفه بذلك ؟؟

ـ قال بأن أبوه هو إللي حكي له ذلك ، حيث قص عليه في أحد الأيام قصة الخلاف إللي حصل بين ....

وقبل أن يكمل قوله ولطبيعتها الأنثويه لم تستطع تمالك نفسها ، ففقزت من عينيها دمعه كم حاولت جاهدةً كبح جماحها وسجنها داخل ،مقلتيها ، لألا يراها إبنها ويعرف الحقيقه منها ، إلاّ أن أعصابها كانت أضعف منها ، فخانتها

وغدرت بها.. وعند ذلك لم تجد مفراً من الإعتراف بالحقيقه أمامه ، وبألمٍ شديد تنهدت قائلةً :

- نعم يا ولدي .. هذا ما أخفيته عنك طوال هذه المده لئلا يؤثر عليك ، وهذه هي حال الدنيا .

وما أن نطقت أمه بهذه الكلمات ، حتي تمزقت نياط قلبه ، فسالت العبرات علي وجنتيه ولم يستطع البقاء فتركها وإنصرف إلي غرفته ، مرتمياً علي سريره ، تملؤه الرغبه في الثأر .....

معتقل نفحـــــه
1989/9/9م

بعد فوات الأوان

لم يدرِ كيف إنطلقت الرصاصات نحوه ، حيث أصابته في رأسه تاركةً إياه يترنح ساقطاً علي الأرض متخبطاً في دماءه كطائر دبيح ... فهو طالما خشي من هذه اللحظه الرهيبه التي ما فتأت تسيطر علي تفكيره . فعاش من جراء ذلك في كابوس الهواجس المخيفه كخوف القاتل من حبل المشنقه..فقد أحب الحياه وتعلق بزيفها الخادع ، كتعلق الظمأن بسراب الصحراء ، موهماً نفسه بأنه باستطاعته إجادة إسلوب الخداع والتظليل للنجاه بنفسه من الموت الذي يطارده ... فباع ضميره خائناً لشعبه في سبيل هذا الزيف الخادع الذي قبع نفسه به دون حساب ليوم أخرته ، حيث لم يستيقظ ضميره الآ عندما شعر بدنو يد الموت منه وأن ساعة حسابه الدنيوي حانت ،وذلك بالرغم من التهديدات التي وجهت إليه ليتوب إلي ربه ويعود إلي رشده وصوابه ويترك أعماله الدنيئه البشعه بحق شعبه ويتخلي عن التعاون مع أعداء شعبه ووطنه الصهاينه العنصريين ... فهناك نوعاً من الناس لا تستيقظ ضمائرهم الآ لحظة الخطر والوقوع في مأزق أو وهم علي فراش المرض يصارعون بين الحياه والموت.

وكان إيهاب من هذا الصنف من الرجال الجبناء ضعاف النفوس الذين لاتستيقظ ضمائرهم الآ لحظة الشعور بالخطر وبعد أن يكونوا قد إرتكبوا من الجرائم والمعاصي بحق أبناء شعبهم ووطنهم ما تقشعر له الأبدان دون تراجع أو ندم .. فهو شاب أغوته نزوة الشباب ، حيث عاش منذ طفولته حياه كلها دلال

وطيشان لغياب الأب عن الأسره وعدم توفر التربيه السلوكيه الصحيحه ، فنشأ منذ صباه تنشأه مائعه فاسده ، مرافقاً أولاد السوء من أترابه .. مغازلاً الفتايات وتاركاً الفسوق يسيطر عليه مما جعله "كعقب أخّيل"سهل السقوط في مستنقع رجال مخابرات العدو ،الذين ماإنفكوا يسقطون ضعاف النفوس من أمثاله ، فوجدوا الفرصه السانحه والغنيمه الدسمه ،حيث إستغلوا نقطة ضعفه وفساد أخلاقه فأسقطوه جنسياً ، ليتم تصويره بمنظره البشع ، حيث لم يكن له مفر عند ذلك فهو لايستطيع الخلاص مادامت نفسه ضعيفه وجبانه فتهالك في خدمة أسياده الأعداء مخلصاً لهم بعد أن أفرغوه من كل محتواه الوطني والأخلاقي ... فأخذ يبلغ عن نشاطات المناضلين وأماكن تواجد المطاردين منهم .. ويثير البلبله وخلق الفتن وإطلاق الإشاعات من غير حساب .. عدا عن توزيع البيانات المدسوسه المزوّره الكاذبه في سبيل إحداث الإرباك والفوضي .. ومارس التشويه بحق الشرفاء دون تأنيب من ضميره أوإستحياء من نفسه علي جرم أعماله التي يرتكبها ، وكم حرم أطفال من بسمة أباءهم ، وكم أبكي نساء علي أزواجهن و أولادهن ولم يتواني أيضاً في إسقاط الفتايات موقعاً بهم في شراك أحابيل المخابرات ، فأصبح مطلوباً لقصاص الشعب والوطن بعد أن فشلت كل الجهود التي بذلت لتصحيح مساره وإنقاذه من المستنقع الآسن الذي إنزلق إليه .. وتم تعقبه أكثر من مره إلي أن حان قدره . فبينما هو في أحد الأيام يحاول الخروج من بيته ،متخفياً تحت جنح الظلام ، كان هناك أشخاصاً ينتظرونه في الخارج دون أن يظهروا له ، حيث ما أن سار في أحد الأزقه حتي فاجئه شبحاً كان يختبيء له في زاوية الزقاق مصوباً مسدساً نحو رأسه مباشره،

طالباً منه رفع يديه إلي أعلي ، محذراً إياه في نفس الوقت من محاولة تحريك يديه أو الهرب ، فإنصاع متمسراً في مكانه كأنه عامود كهرباء ، حيث أخذ العرق يتفصد من جبينه من هول المشهد ، فلم يعد لديه شكاً بأنه لن يستطيع النجاه هذه المره بعد ما طالته يد العداله مطبقةً الخناق عليه ، وفي محاولةٍ يائسه منه أخذ يتوسل للشاب لعلي وعسي أن يتراجع عن محاولة قتله ، حيث أن حياته أصبحت بين يديه .. فناشده بصوت باكي قائلاً :

أرجوك يا أخي ماذا تريد مني ، أتركني وشأني فربما تكون قد أخطأت العنوان المطلوب ..فأنا لست الشخص الذي تريده كما تعتقد .. واذا كنت تريد مني نقوداً فأنا لا أملك شروي نقير ؟!

- لا .. لست بحاجه إلي نقودك .

أجاب الشاب مبتسماً

- إذاً ماذا تريد .. أخبرني .. أستحلفك بالله ؟؟

قال ذلك مستعطفاً .. بينما حاول تحريك رأسه ومسح جبينه من العرق الذي أخذ يتفصد منه .

- إياك أن تحرك يديك أو تحاول إنزالهما .. إرفع يديك إلي أعلي .

صرخ الشاب بلهجه حاده ودنا منه محذراً إياه من عمل أية حركه..بينما قدم في هذه الأثناء صديقه من الخلف مجرداً إياه من مسدسه الذي كان يتمنطقه محتمياً به ، ثم سحبه الي ناحية الشارع قائلاً له :

- الفتنه أشد من القتل أيها الخائن .

ثم دفعه إلي داخل سياره كانت بإنتظارهم،حيث نقلتهم إلي مكان مهجور.

- إنني لست خائفاً .. إنني رجل شريف .. !!

أجاب بذلك متلعثماً .

- إنك شخص ماكر جبان تريد تضليلنا للإفلات من يد العداله .. لن تنطلي علينا حيلك أيها الندل وستنال عقابك .. فنحن لدينا صوره كامله عنك ولكننا نمهل ولا نهمل يا إيهاب .

وما أن نطقا بإسمه حتي دب الخوف أكثر فأكثر في أوصاله ، حيث شعر بأنهم لابد حتماً يعرفون عنه كل شييء .. ولكنة إستمر في تظليله وإدعاءاته .

- ولكن ربما تشابهت عليكم الأسماء أو حتي الأشكال ؟؟

نطق هذه الجمله بينما كان جسمه يرتجف .

- قطعاً ..فنحن لسنا من هواة القتل طالما منحناك الفرصه تلو الأخري دون فائده ترجي .. حتي دقت ساعة الصفر بعد أن إكتملت كافة المعطيات عنك .. والأن لم يبق لك حظاً في المماطله والنكران وما عليك الاّ الإعتراف بكل ما إقترفته من جرائم وممارسات ولن يصيبك سوء إذا ما إعترفت بكل ما نريده منك مما نعرفه عنك

- أرجوكم .. إتركوني

صرخ مستغيثاً .. بينما صفعه أحدهم بلكمه قويه في وجه قائلاً له:

- لن تغادر هذا المكان ما دمت تكابر ولا تريد الإعتراف . وعند ذلك لم يجد مفراً من الإعتراف ، فإنهار باكياً متوسلاً بطلب الرحمه والصفح .. معلناً التوبه والندم بعدأن إعترف بكل جرائمه التي إرتكبها بحق الشعب والوطن .. ولكن بعد فوات الأوان.

غزه - مخيم الشاطيء

1991/2/7

البيت المنسوف

كم كان بيتهم عزيزاً عليهم ، فهو بيت ولا كل البيوت ، حيث الحجرات الواسعه ، والطبقات المتعدده ، والفناء الفسيح المغروس بأشجار الزينه والأشجار المُثمره ، عدا عن التهويه الحسنه ، وهذا ما أكسبه جمالاً علي جمال الموقع الذي يتميز به لوقوعه علي نجدٍ من الأرض .. فقد أنفق الأب والأبناء كل مدخراتهم التي جمعوها بجهدهم وعرق جبينهم لتشييده علي أحدث طراز وأروعه .. عملوا ليلاً نهاراً ولسنوات عده حتي إستطاعوا بناء هذا البيت الذي أصبح عنواناً لسعادتهم ..، ويوم أن إنتهوا من بنائه تذكروا الله سبحانه وتعالي ، فلم يجحدوا بنعمته التي وهبهم إياها ، وإكراماً لهذه النعمه جمعوا فقراء الحاره ، حيث قدموا لهم المناسف الممتلئه بلحم الخراف التي نحروها وفاءً وشكراً للخالق سبحانه وتعالي ، فقد عرفوا بالكرم وحسن المعامله والإحساس بالإنتماء للشعب والوطن ، فإستحقوا هذا البيت الذي تأمل جماله كل من شاهده من الناس ، حيث إشتهته النفوس وحسدته العيون ، فجمال البيت كان يسر الناظرين .

وظل البيت عامراً بسعادة أهله وسهراتهم الليليه علي مائدة العشاء المترعه بالخيرات من أطيب الطعام وأجوده إلي أن شاء الله لأصحاب البيت غير ذلك .. فسعادة البيت بأهله لم تدم طويلاً وكأن عين الحسد أصابته مستكثرةً إياه علي أصحابه الأوفياء الكرام .. ففي أحد الأيام فوجيء أصحاب البيت بمداهمة أعداد كبيره من جيش الإحتلال الصهيوني للبيت ، حيث إستفسر قائدهم عن

صاحب المنزل مُسلماً إياه تبليغاً من الحاكم العسكري للمنطقه يقضي بنسف البيت ، وأمهله نصف ساعه لإخلائه .

لم يصدق الأب نفسه وتسائل عن السبب من الضابط الصهيوني الذي أبلغه بأن أحد أفراد العائله متهماً بالإشتراك في الإنتفاضه و إلقاء زجاجه حارقه علي دوريه عسكريه للجيش الصهيوني ، وهو محتجز الأن في السجن بعد أن ألقي القبض عليه من قبل قوات جهاز الأمن " الشين بيت " وعند هذا الكلام لم يجد الأب ما يقوله أمام الضابط سوي الإستغفار بالله مُستسلماً لقّدره وإرادته سبحانه وتعالي . في هذا الوقت تجمع عددٌ من أفراد العائله حول الأب أمام مدخل البيت وهم غير مصدقين لما سمعوه ، بينما إنكب الأخرون في عملية تفريغ المحتويات والأغراض من داخل البيت لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وعند ذلك إستيقظت أحاسيس الأب فدار جدال عنيف بينه وبين ضابط الشردمه من الجيش ، حيث صرخ الأب في وجه الضابط بعصبيه حاده قائلاً :

- يا خواجا ..أخبرني .. هل إقترف البيت بحقكم أية جريمه لتنسفوه .. والأولاد الصغار ما ذنبهم ..ومن سيحميهم من برد الشتاء وأمطاره،وشمس الصيف وحرارتها ؟؟!

×××××××

- ألم يكفي يا خواجا أنكم إعتقلتم الولد .. وماذا لو كان إبنك أو أخوك هو المتهم .. فهل ترضي أن ينسف بيتك جزاءً لذلك ؟؟

×××××××

- وأي قوانين هي التي تجيز لكم هذا السلوك الهمجي البربري .. ألم تلغي قوانين الطواريء التي تستنـدون إليهـا في تصـرفاتكم الإرهابيه وسياستكم القمعيه ضدنا ؟!

×××××××

- تكلم .. أجب ياحضرة الخواجا علي أسئلتي ؟؟.

××××××

- ألاّيكفي أنكم إغتصبتم وطننا وإقتلعتمونا من أرضنا وأخرجتمونا -ومعكم الدول الإستعماريه - وتحت تهديد السلاح من بيوتنا التي كنا أمنين فيها ؟!

×××××××

- لماذا تطبقون قوانينكم العنصريه علينا وتُحرّمون تطبيقها علي أنفسكم .. هل لك أن تتذكر ماذا فعل جنودكم بسكان قرية سالم في مدينة نابلس ؟؟

×××××××

إنني أستسمحك من الإجابه .. فلقد دفنوا هناك الشبان الأحياء بدم بارد دون أن تتحرك لهم مشاعر .. ولكن هل فعلتم معهم شيئاً مثل الذي تفعلوه معنا ، وذلك بعد كل هذا الذي حصل منهم ؟!

كلا إنكم لم تفعلوا معهم شيئاً سوي توبيخهم والحكم علي أحدهم بالحبس لمدة ستة شهور من قبيل الترضيه لأصحاب الضمائر الحيه والذين تقززت نفوسهم من هذه الجريمه ، فثاروا وهاجوا عند سماعهم عن هذه الفضائع المشينه ؟! لم يقبل الضابط سماع مثل هذا الكلام ، فركله ركلةً أسقطته الأرض .. ولم يأبه الأب بهذا الإعتداء ، فنهض ثانيه ليستمر في حديثه موجهاً كلامه للضابط قائلاً :

- ألا تخجل من ضرب رجل أعزل بعمر أبيك .. لقد إعتقدت أن لديك ذره من ضميرغفلت عنها تربيتك الصهيونيه التي ترعرعت علي دماء الأبرياء ، وتأصلت

وريثاً للنازيه علي يد شامير الدموي الذي تلطخت يديه بدماء الكونت برنادوت ، الذي سالت دماؤه علي تراب القدس بفعل رصاصات جبانه غادره أطلقها نفسه عليه .. ورابين وزير الإرهاب هو الأخر تتطلخ يديه يومياً بدماء الأبرياء الذين يقتلهم جنوده دون خجلٍ أو وجل .. ألا يخجل من جراء ما يقترفه من جرائم وسفك دماء بحق شعب أعزل مسالم .. ولماذا لا تخجل أمك وزوجتك من أفعالك وأفعال أسيادك شامير ورابين وشارون وكهانا وليفنقر ومن هم علي شاكلتهم من القافله الطويله ؟؟!

×××××××

- أجب .. أجب .. وهل نسف رابين بيوت المستوطنين الذين قتلوا فلسطينيين عزل بدم بارد ؟!

كلا .. لإن حكامكم يحمون تصرفاتهم ، فهم يعيشون آمنين وطلقاء الحريه ...!!

إنكم تعلنون يومياً للعالم بأن كل فلسطيني هو إرهابي .. وتزرعون الحقد والكراهيه في نفوس أبنائكم لتشجيعهم علي إرتكاب جرائم القتل ضد السكان العرب وذلك بدلاً من غرس صفات المحبه في نفوسهم .. وأنتم تدركون جيداً بأننا عكس ما تدعونه أو تصفوننا به .. فنحن شعبٌ مسالم ومحب للسلام ونتوق للعيش بسلام وأمان كباقي الشعوب وهذا ما يعرفه الجميع .. فألم يذهب ياسر عرفات " أبو عمار " إلي مقر الأمم المتحده ليرفع من علي منصة الخطابات هناك غصن الزيتون منادياً بالسلام ..وقادتنا يكررون ليلاً نهاراً مطالبتنا ورغبتنا بالتعايش السلمي والتحاور معكم .. فلماذا تخافون من ذلك إذاً .. فهل تخشون سقوط ورقة التوت التي تسترون بها نازيتكم وعنصريتكم ؟!

×××××××

- أليس لديك بيتاً ترتاح عيناك لرؤيته .. وعائلةً وأبناء تتشوق بإستمرار لرؤيته والجلوس معهم صباحاً .. مساءً وفي كل ساعه ودقيقه ؟!

وهنا إنفك لسان الضابط من عقاله وكأنه شخصٌ أخرس إنحلت عقدته .. وبتلعثم قصري أجاب :

- نعم .. ولكن أنتم لا يحق لكم التمتع بما نتمتع به نحن ، لأننا شعب الله المختار ، وهذه أرضنا التي منحنا إياها الله " سبحانه وتعالي ؟!...

- هذا قولٌ هراء ، لقد غرر بك دُعاة الهجره الصهيونيه ومعهم زعماؤك عندما قالوا لك هذا الكلام .. فما أنتم إلاّ خليط غير متجانس من الشعوب المتباينه .. سلبتم منا وطننا فلسطين لتقيموا علي أرضنا ما يسمي " بإسرائيل " . لقد خدعوك يا حضرة الضابط وما عليك الأن إلاّ أن تعود إلي رشدك وصواب عقلك .

وعند هذا القول تقلصت قسمات وجه الضابط ، فإحتقن بالدماء بعد أن برزت أشاجج عنقه ، وصرخ صرخةً مدوّيه زلزلت فرائص كل من حوله من الجنود ، ثم زعق مرةً أخري بحده قائلاً لمن حوله من الجنود :

- قيدوا هذا المجنون المأفون ..أبعدوه عن وجهي ..لا أقدر علي تحمل سماع كلامه .

وما أن إنتهي من كلامه حتي نظر إلي ساعته،فأدرك علي الفور أن المهله الممنوحه لإخلاء البيت من محتوياته قد إنتهت ، ولم تكن العائله قد إنتهت بعد من إفراغ المنزل ، حيث لم يسطيعوا سوي إخراج ثلث أغراض المنزل . فقام الجنود بإغلاق المنطقه، وأخرجوا جميع أفراد العائله بقوة السلاح بعد أن رفضوا الخروج ، ثم شحنوا البيت بالديناميت دون شفقه أو وازع من ضمير يؤنبهم،مجسدين بذلك

أبشع صور الهمجيه والبربريه في المعامله .. وما هي إلاّ ثوانٍ معدوده حتي دويّ إنفجارٌ هائل إختلط صوته بأصوات صراخ الأطفال الذين أرهبهم مشهد البيت وهو يتهاوي بصُخبٍ مخيف أمام أعينهم ، ليصبح في لمح البصر مجرد ركام بعد أن تطايرت حجارته متناثرةً في كل مكان من منطقة المنزل ، متحولاً بذلك إلي أطلالاً للذكري وحيث أعاد رب البيت لملمة حجارته ليجمعها علي شكل كومه نصب لعائلته خيمه علي قمتها لتكون بذلك شاهداً علي بشاعة جرائم الإحتلال الصهيوني البغيض .

معتقــل نفحـــه
1989/7/18

الأمومه

السيده زينب إمرأةٌ أرمل في العقد الرابع من عمرها علي وجه التقريب ، عبس لها الدهر طويلاً منذ صغرها ، فلم يبتسم لها يوماً وكأنه أقسم عليها أن تشقي في حياتها حتي بعد زواجها من رجلٍ لم تستمر حياته معها طويلاً ، فقد خطفه المنون من جانبها بعد أن أقعده المرض طويلاً ، قادفاً لها بثلاث بنات إفترشن الأرض والتحفن السماء ، فعاشت وإياهنّ حاله من الكفاف والبؤس في كنف بيت صغير كالح المنظر ، آيل للتداعي والسقوط وكأنه مصاب بداء هرم العمر. فبوفاة الوالد حُرمن البنات من كل شييء ، ومن عطف الأبوّه ورعايته ، ولم يكفِ حنان الأمومه التعويض ، حيث الفقر والشقاء ومصائب الدهر وغوايل الزمان . وبالرغم من كل ما أصاب الأم فلم تيئس وعملت جاهدةً علي تربية بناتها التربيه الحسنه مستعينه بأخٍ لها يكبرها سنّاً ، إستطاع أن يخفف عنها وطأة الحياه وقساوتها بعض الشييء ، فكان يتردد عليها في بيتها بين الفتره والأخري ، ماداً لها بما تيسر له من الحاجيات القليله ، كما حاول أن لا يتركها تعيش وبناتها لوحدهن ، فعرض عليها السكن مع عياله في منزله ، وكان بيته لا يبعد كثيراً عن منزلها ، ولكنها رفضت هذا العرض ،مفضّلةً البقاء وبناتها في بيتها .

ومرت الأشهر لا بل الأعوام ، حيث إنقضي علي وفاة زوجها ثلاث سنوات حسبتها الدهر لطولها،فتزوجت البنت الكبري بعد أن إكتملت إنوثتها، كما كبرت البنت الوسطي .. وخلال هذه الفتره طمع بها كل من عرفها من

الرجال ، حيث هي وإن تجاوزت الأربعين من عمرها ، بقيت لها مسحة من جمال إنثوي أكسبها بريقاً مُلفتاً للنظر ، ومن ضمن الذين رغبوا فيها صديق لأخيها ، كان قد فقد زوجته قبل سنين دون إنجاب ، حيث عرض هذا الموضوع علي أخيها محاولاً طلب يدها منه ، فبعد فتره من الخجل والإقدام والإحجام إستجمع شجاعته ، وفي إحدي الجلسات التي جمعت بهما سأله قائلاً :

- أنت تعرف يا أبا القاسم بأنني أعيش في وحده وإنفراد منذ أن ماتت زوجتي ، رحمها الله ، وليس خافياً عليك ماتسببه هذه الوحده لي من قلق وضيق وكآبه ، فماذا تراني أعمل للتخفيف من وطأة الوحده عن نفسي ؟؟

- نعم يازهران .. الوحده هي وضعٌ صعب ، فلماذا أنت معتكف عن الزواج حتي الأن .. يكفيك حزناً وحداداً علي المرحومه زوجتك .. حرام عليك حبس صلبك .. وإن كنت تنوي فعلاً الزواج كما قد أفهم من طبيعة كلامك ، فلديّ أخت أرمله تعيش مع بناتها ، وأظن أنك تعرفها أو سمعت بها ؟؟

وهنا ران الصمت قليلاً علي زهران ، وأنبسطت أساريره ، حيث شعر بأن جبل من الهم والخجل قد إنزاح عنه ولم يبق ما يخجله . فإبتسم ثم أشعل سيجاره وأجاب :

- والله العظيم ياأبا القاسم كأنه إللي في بالك في بالي ، فأنا كنت ناوي ومنذ فتره من الوقت أن أسألك في موضوع أختك ، وفقط الخجل هو الذي كان يحجمني عن مصارحتك بذلك ، وأعتقد بأن الزواج أصوّن وأحفظ لها ، وأنا مش حأجد أحسن من مصاهرتك .

- من جهتي أحبد إعطاءك إياها ، ولكن الأمر يبقي ،مقتصراً عليها في النهايه ، وعليّ أولاً أن أطلع علي رأيها ، حيث الرأي هو رأيها ، وأمل أن توافق هي علي

فكرة الزواج، وإذا ما رفضت ذلك ، سأعمل جاهداً علي إقناعها بأهمية وفائدة زواجها منك .

- حسناً إتفقنا إذاً وسأمر عليك بعد يومين لإطلاعي علي نتيجة الموضوع وعلي فكره بالنسبه لإحتياجاتها اللازمه فهذه ليست مشكله ، فكل شيىء سيكون جاهزاً

- لا يا زهران .. مش هذا المهم في نظري ، فالستر والصون هو المهم والأهم من كل ذلك أن تكونوا متفقين وسعداء في حياتكما الزوجيه .

بعد إنتهاء دردشتهم هذه ، غادر زهران المكان يغبطه السرور ، بينما توجه أبو القاسم إلي بيت أخته ليعرض عليها موضوع زواجها ومن ثم سماع رأيها في ذلك ، ومن جهتها لم يكن لديها أي إعتراض علي طلبه بعد أن أوضح لها حسنات ومزايا صديقه ، وفقط كل ما طلبته منه أن تعرف رأي بناتها حيال هذا الموضوع الذي يعنيهن كما يعنيها هي أيضاً ، ولهذا في بحاجه لأخذ موافقتهن ، ولذلك طلبت منحها مهلة يوم إختلت خلاله ببناتها اللواتي رفضن جميعاً فكرة هذا الزواج من الأساس ، وسيطر في هذه اللحظه علي موقف بناتها مشهد عاطفي مثير ، فقد كانت إبنتها الوسطي أشد أخواتها معارضةً حيث صعقها الخبر ، فمالت بعنقها علي صدر أمها ،مجهشةً في البكاء ، ودون أن تلتقط أنفاسها وبصوتٍ تشوبه الحشرجه والألم سألت أمها وهي تنتحب قائلةً :

- كيف ياماما وبعد عشرتك الطويله مع والدي - رحمه الله - تريدين الأن الإقتران برجلٍ غريب ودون الحفاظ علي العهد الذي جمعك بوالدي .. فأين هو إذاً رباط الزوجيه المقدس الذي ربطكما ببعض علي مدار العشره الطويله بينكما ؟؟.

وما أن سمعت الأم بكلام إبنتها هذا حتي سيطر عليها التأثر ، وبسرعه

إحتضنتها ومسحت بكفها علي جبينها مهدئة من روعها .. مدخلةً الطمأنينه إلي قلبها وبعد أن هدأت إبنتها قليلاً أجابتها قائلةً :

- ليس في الأمر شيئاً ،مقلقاً ياعزيزتي ، وفكرة الزواج هذه كانت رغبة خالك الذي قصد من وراء ذلك الستر وتوفير الراحه لي ...

وقبل أن تكمل كلامها قاطعتها إبنتها قائلةً :

- لا ياماما .. إن الأمر يعنينا نحن بناتك أكثر من خالنا .. فكيف يمكن لنا أن نري شخصاً غريباً يدخل علينا بيتنا .. وأي معامله هي التي سيعاملنا بها .. وأين سنجد الحنان بعد خروجك من البيت .. فيكفي ما فقدناه من عطف الأب ؟؟

- كل شييء قسمه ونصيب يا بنيتي ، والزواج سنة الحياه الدنيا ، وهو من حكم الله في عباده .

- لا ياماما .. لن نقبل بدخول شخص غريب عليك .. ولن نقبل أيضاً بخروجك من البيت ياست الكل .

- كما ترون وَلكن ماشئتن ، فأنتن أفلاذ كبدي وكل مالي في هذه الحياه الدنيا ، فلن أخرج عن إرادتكن وقراركن ، وسأبلغ خالكن بإصراركن علي رفض فكرة زواجي وإن كنت أنا غير معارضه ذلك .

ولم يطل إنتظارها لعودة أخاها الذي جاء إليها ، يحذوه الأمل في أن تكون أخته قد إستطاعت إقناع بناتها بالموافقه ..ولكن خاب ظنه ، فليس كل ما يلمع ذهباً .. ولا كل ما يتمناه المرء يدركه. .وقد حاول جاهداً إقناع بنات أخته بقبول مسألة زواج أمهم ، شارحاً لهن شريعة الله في ذلك ولكن دون جدوي . فخرج من عند أخته كما دخل خائب الرجا ودون أن يعرف ماذا سيقول لصاحبه زهران الذي

عوّل عليه كل الأهميه لتحقيق رغبته .

ولم يمضِ شهراً علي موضوع طلب يد السيده زينب حتي حضر إلي بيتها من يطلب يد إبنتها الوسطي منها ، وبعد مشاورة أخيها في هذا الموضوع ، ثم زواجها ممن تقدم لها من الرجال . وسعدت البنت بهذا الزوج الذي كان يعمل في إحدي شركات البناء والتعمير حيث حياته مستوره . أحبته كثيراً حيث منحها الدفء والحنان .. وكانت تقلق كثيراً إذا ما تأخر أو غاب عن البيت تحت إضطرار ظروف عمله ، وتحسب لكل دقيقه تمر من الإنتظار كأنها العمر كله .

ومضت الأيام بالزوجين ملئيه بالسعاده والهناء والحيويه المفعمه بالمحبه ، إلي أن حصل ما أفقد الزوجه هذه السعاده ، فالقدر الذي إختبأ لأمها إختبأ لها أيضاً ، وإختطف منها زوجها مثلما إختطف أبيها من أمها من قبل ، فقد ألمت بالزوج حادثة عمل مروّع وفظيع بينما كان يعمل كعادته فوق سطح إحدي العمارات التي كانت قيد الإنشاء ، حيث سقط من علي السطح ولفظ أنفاسه الأخيره علي الفور تاركاً لها طفلاً وحيداً لترعاه .

وبهذا المصاب الجلل خيّم الحزن والأسي علي الزوجه لفراقٍ أبدي لزوجٍ وفي ، منحها كل الحب والإقدام ، فتخظلت عيناها من البكاء المتواصل بهتون الدمع الذي درفته مدراراً علي هذا المصاب الأليم .

وطالت بها أيام الترمل عام وعامان شعرت خلالهما بالوحده والحاجه لزوج يمنحها العواطف ، فقد زادت وحدتها من ضيقها وكرهها للحياه الخاليه من العواطف . ولم يطل قلقها وضيقها كثيراً ، فجمالها كان مطمح الطامحين بها من الرجال،فوجدت من يتقدم من الرجال ليطلب يدها مرةً أخري وذلك عندما قدر

الله لها ذلك في ميقاته ، وسرت لذلك أشد السرورحيث أزيح عنها ثقل الهموم والأرق ..وكادت تطير من الفرح عندما أبلغتها والدتها بهذا الطلب،حيث أرادت معرفةرأيها في الموضوع ، فعلي رأيها هي يتوقف كل شييء ، وبالرغم من إنشراح قلبها لهذا الخبر السعيد علي نفسها ، إلاّ أنها عمدت أمام والدتها إلي إظهار عدم تلهفها لذلك ، ورغبت في إعطاء الرأي لوالدتها التي ما أرادت لها إلاّ كل الخير والسعاده في حياتها ، حيث أجابتها قائله :

- إن الرجل الذي يتقدم إليك ياعزيزتي الحلوّه هو شاب في مقتبل العمر ، وطيب القلب وإبن ناس محترمين ، وخالك يعرف أهله ، وسيمنحك الدفء الزوجي .

- صحيح ياماما ما تقولينه ؟؟

- نعم يا بنيتي .

عند ذلك تشاغلت الإبنه بمغزل كان بيدها ، وبعد برهه من الصمت المصطنع من قبلها ، تساءلت قائله :

- ولكن ماذا بالنسبه لذكري زوجي ؟؟

- زوجك رحمة الله عليه ، وزواجك من زوج جديد لا يخالف الشرع ، ولايبغض ربنا سبحانه وتعالي .

- بس ياماما أنا سبق وأن إعترضت علي زواجك من رجل غريب ، فكيف لك تسمحين لي الآن بالزواج ؟!

- أنت يا بنتيتي لازلت صغيره ، والزواج هو شريعة من شرائع الله للحفاظ علي بقاء خلقه ، والمرأه هي حافظةً هذا البقاء .

- لكن ياماما أنتِ لازلت لم تبلغيني عن سبب موافقتك ؟؟

- ياعزيزتي أنا أظل أولاً أمك ، والأم تبقي دائماً حنونه رؤوفه علي أولادها وبناتها ويهمها سعادتهم ، وأنتِ عندما إعترضتِ وأخواتك علي زواجي من شخص غريب كنت لازلت صغيرة السن ولم تقدري الأمر ، فالمرأه بحاجه دائماً لرجل يمنحها الدفء والسعاده ويقف إلي جانبها .

- إذا أنتِ يا ماما بالرغم مما حصل مني يسعدك زواجي مرةً أخري ، حيث لا تعامليني كما عاملتك ؟؟ .

- نعم ياعزيزتي

- إذاً بإمكانك ياماما الأن أن تتزوجي أنتِ الأخري إذا ما تقدم لك أي رجل من جديد .

- لا يا بنيتي .. فأنا قد فاتني قطار العمر ، حيث أقتربت الأن علي دخول سن الخمسين ، أما أنت فلا زلتِ في ربيع عمرك ، وأمامك عمرٌ مديد .

- إذاً سامحيني يا ماما لأنني أخطأت في حقك حيث لم يكن لديّ تجربه في الحياه ، ولم أكن أعرف أيضاً معني أن تكون المرأة بدون زوج .

معتقل نفحـــــــه
1989/12/26

الكتابة علي الجدران

طرقات قوية أخذت تنهمر علي باب المنزل كزخات مطر قوية متتالية ، من ياتري الطارق في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟؟

راودني هذا السؤال بالرغم من إعتيادي سماع مثل هذا الطرق غير المرغوب به في مثل هذا الوقت .. ومع ذلك نهضت من نومي مبسملاً .. مستنفراً .. بينما أخذ لساني يدعو الله " سبحانه وتعالي "بأن لا يؤثر هذا الطرق المتواصل علي الصغار في البيت ، حيث كانوا يغطون في سبات عميق .

إستجمعت كل قواي متوجهاً نحو الباب ومنتعلاً ما وجدته قدماي في طريقهما .. وبعد أن أشعلت ضوء الممر صرخت بقوة وعصبية ، وذلك في محاولة لتقوية عزيمتي ولاستشعار الأمان وإزالة الإضطراب من داخل كياني ..

- مين إللي بيدق علي الباب ..؟؟

- جيش .. إفتح جيش

عند ذلك تمالكت أعصابي وإستطعت كبح جماح قشعريرة إنتابتني علي غير إرادة مني.

لقد كان الجواب سريعاً ومشوباً بلكنة غير عربية ، حتى أنه داهمني قبل أن أكمل إجابتي .. وما أن رفعت المزلاج وفتحت الباب حتى شعرت بشعاع يسلط نحو وجهي مما شل حركتي وقيد خطواتي ، فأصبحت عاجزاً عن الرؤية أو حتى عن التقدم ،وعلي الفور قمت بسحب قدماي بضع خطوات للخلف لاجد نفسي وقد

دفعت بقوة إلي الداخل حيث طلب مني الوقوف .. وتقدم الجنود - يسبقهم عريفهم - داخل البيت وهم في وضع إستعداد كامل لإطلاق النار تحسباً لأية مواجهة أو حادثة ، قاذفين بأرجلهم كل ما صادفهم من أشياء في البيت ، مما أدي إلي إيقاظ صغار البيت منزعجين ، حيث كان الإضطراب بادياًعلي وجوههم وقد نهض أصغرهم من فراشه يبكي فزعاً من هول الصدمه التي فاجأته ، حيث ذهبت جهودي بتهدئته أدراج الرياح ولم يعر الجنود هذا المشهد الإنساني المؤثر أي إهتمام .. بل سألني الضابط بلهجة حادة ، بعد أن سحبني من يدي نحو الخارج قائلاً :

- إقرأ لي ما هو مكتوب هنا ؟! وأشار بيده نحو الكتابة علي حائط الجدار ؟

- 12/9 إضراب شامل بمناسبة دخول الإنتفاضه المباركة عامها الراب .....

وقبل أن تطبق شفتاي علي الكلمة الأخير وجدته يوجه إليّ ركلة قوية حيث صرخ قائلاً :

- أه .. يعني إنت تحرض الناس علي الإضراب ؟؟

- لا . هذا غير صحيح .. ومالي أنا ومالي الإضراب ....

أجبت بذلك ثم أضفت مكملاً ..

لقد قرأت لك ما طلبته مني وليس لي دخل بما هو مكتوب هنا .

- لكن إنت سمحت للملثمين بأن يكتبوا علي جدار بيتك ؟؟

- هذا غير صحيح لأن الملثمين يقومون بالكتابة في الليل ، وليس هناك من يقدر علي منعهم .. ولعلمك أيضاً فإن هذه الكتابة ليست مكتوبة علي جدار بيتي ، بل هي علي جدارالبيت المجاور ، وهو مهجور حيث لا يتواجد داخله أي شخص.

- مش مهم سواء كانوا في البيت أم في الخارج ، فأنت تتحمل المسئولية ، لأن العقوبة في قانوننا هي جماعية ؟؟

- ولكن أنا ايش ذنبي في ... وقبل أن أكمل إجابتي دفعني بعقب سلاحه مرة أخري قائلاً ..

- هات هوية .

وبعد أن قرأها تحت سيل من الشتائم والإهانات قال مخاطباً زميله :

- أُكتب يا شموئيل .. الاسم " ياسر عرفات " ، رقم هوية ..... مخالفة بثلاثمئة وخمسون شيكل . ثم نظر إليّ والشرر يتطاير من عينيه وبإستفزاز و قال :

" وكمان إسمك ياسر عرفات " يجب عليك تغيير إسمك والا ....!! ومزق الهوية.وبعد لحظة صمت قال محذراً ..

- هذه أخر مرة .. معاك فقط عشرة دقائق لمسح وإزالة هذه الكتابة .. وبدي أرجع أشوف كل شيء ممسوح تمام .. مفهوم ؟؟

وما أن لفظ أخر حرف من تهديده .. حتى الفيتني أجيب بسرعة قائلاً :

-" نعم .. مفهوم .. 12/9 إضراب "

غزة - معسكر الشاطيء
1990/12/9

الكاتب في سطور..

- من مواليد غزة - معسكر الشاطئ.. حيث نما وترعرع.
- التحق في صفوف حركة "فتح" عام 1979م، وذلك أثناء دراسته في جامعة بيروت العربية "لبنان".
- اعتقل بداية عام 1980م حيث كان طالباً في السنة الجامعية الثالثة كلية الآداب "قسم التاريخ".
- أمضى في سجون الاحتلال الصهيوني مدة عشرة سنوات متواصلة ودون اعتراف منه بالتهم المنسوبة إليه.
- في السجن كرس وقته للمطالعة والكتابة، حيث قام بكتابة وتأليف العديد من الكتابات. وقد نشر له عدة أعمال أدبية وسياسية وإعتقالية.
- عمل داخل المعتقل في جميع المواقع التنظيمية، حيث كان عضواً في اللجنة المركزية وموجهاً عاماً للتنظيم في معتقلات عسقلان وغزة.
- حاصل على شهادتي البكالوريوس في التاريخ والماجستير في العلوم السياسية.
- حاصل على جائزة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي U.N.D.P لأفضل متطوع مثالي لعام 2001م.
- حاصل على جائزة أفضل قصة قصيرة عام 1994م عن دار الفاروق للثقافة والآداب والعلوم والنشر "نابلس".

شغل المواقع التالية:

1. عضو الهيئة الإدارية لإتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين "فرع قطاع غزة" من 1992م إلى 1995م.
2. رئيس لجنة العاملين في جمعية أصدقاء المريض.
3. عضو المجلس المركزي للجان التوجيه السياسي.
4. عضو الهيئة الإدارية لنادي مركز خدمات الشاطئ.
5. عضو مراقب في المجلس الوطني الفلسطيني دورة 1996م.
6. أمين سر وأمين الصندوق في جمعية الأسرى والمحررين "فرع محافظة غزة".
7. رئيساً للجنة زكاة مخيم الشاطئ لمدة عشرة سنوات.
8. رئيساً للجنة حي مخيم الشاطئ لمدة إثنا عشر عاماً.
9. رئيساً لجمعية الشاطئ الخيرية الخدماتية.
10. عضو المجلس التأسيسي لإدارة جمعية أهالي قرية حمامة .
11. عضو الهيئة الإدارية للجنة الشعبية للاجئين في محافظة غزة.
12. عضو اللجنة المحلية للدفاع المدني في محافظة غزة.
13. عضو قيادة إقليم غزة الموحد.. ونائب أمين سر إقليم غرب غزة منذ عام 1994م. ومديراً لمكتب الإقليم.
14. أمين سر إقليم غرب غزة.
15. عضو الهيئة القيادية العليا لحركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح- "المحافظات الجنوبية".

أهم مؤلفات الكاتب..

1. قهر المستحيل ..رواية
2. التجربة النضالية لمعتقل عسقلان من عام 1981-1988
3. الانتداب البريطاني على فلسطين من سنة 1917-1948
4. أوراق من خلف جدران الاسر
5. الاستعمار الاوروبي الحدث ونظام الانتداب ومشاكل تقسيمات الحدود السياسية في المنطقة العربية .. "مخطوطة"
6. نفط وبارود .."مخطوطة"
7. نكـــــران الاصـــــول